مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٠)، العدد (٢)، ص ص ٤٢٣-٤٩٥، (ربيع ثاني ١٤٣٨هـ/ديسمبر ٢٠١٦م)

الدلالات الزائدة للعين ووظائفها في القرآن الكريم

د. فهد بن إبراهيم الضالع
الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه
بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

ملخص البحث. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فإن من نعم الله التي لا تعد ولا تحصى تفضله سبحانه بتيسير الكتابة بموضوع (الدلالات الزائدة للعين ووظائفها في القرآن الكريم) حيث وقفت في هذا الموضوع على لفظي (العين، الطرف) ووظيفتي (البصر والنظر)، من حيث وردت في كتاب الله تعالى مفيدة معنى لافتاً خارجاً عن النظر المجرد وجعلت لكل لفظ من هؤلاء الأربع مبحثا وتحته مطالب أذكر في كل مطلب موضعاً من المواضع التي وقفت عليها بعد استقراء جميع مواضعها وسياقاتها في كتاب الله تعالى فجاءت مطالب البصر ثمانية وجاءت مطالب العين سبعة وجاءت مطالب النظر ثلاثة، وجاء الطرف في مطلبين. وكانت طريقتي في عرض المباحث أن أمهد لكل مبحث باللفظ أو الوظيفة فأتعرض له من جهة اللغة، ثم أتكلم عن استعمالاته في القرآن الكريم سواء من خلال مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، أو كتب الوجوه والنظائر، ثم أبدأ بالمطالب الواحد تلو الآخر مستفتحاً بتعريف اللفظ الزائد المرتبط بجارحة العين كالخيانة من قوله تعالى: "يعلم خائنة الأعين" ثم أذكر أقوال المفسرين في التركيب معاً (خائنة الأعين) وأحاول جاهدا إبراز مقصود البحث كإضافة الخيانة إلى العين وطريقة تعبيرات الخيانة عند السلف وغيرهم، ثم أختم بنتيجة تشتمل على عامة ما ذكر في كل موضع.

والبحث من حيث هو محاولة لتجلية عظمة القرآن الكريم ولغته وإعجازه وإبراز أهمية العين ووظائفها ودلالاتها في القرآن الكريم حيث إن العين تزيغ، وتخون، والبصر يُزلق، وهكذا..

والله أسأل الاخلاص في القول والعمل أن يجعله عملاً مبروراً متقبلاً ، والحمد لله رب العالمين.

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا وأن محمد عبده ورسوله، ، ، أما بعد:

فقد من الله تعالى على أمة محمد ﷺ؛ حيث ترك فيها بعد موت نبيها كتابه العظيم محفوظاً منه جل وعلا عن أيدي العبث والتحريف والتضليل، وهذا القرآن الكريم يحفظها بحفظ الله، فيأرز إليه كل مجدد لدينه، ومتطهر من أوضار الشبهات والشهوات، فلا يزيغ عن كلام ربه إلا هالك.

وقد تعددت دلاء الواردين من العلماء على هذا المعين الصافي من لدن السلف الأولين وحتى يومنا هذا، وهم ينهلون منه عللا بعد نهل، يفسرون ويحللون ويستنبطون علومه، وتضيء دراري معالمه كلما تدارسه قوم من بعد قوم، ولا يزال يتجدد عطاؤه مثبّتاً لأتباعه، منيراً لطريقهم إلى الله تعالى؛ فجاءت كتابات المهتمين بالتفسير على طرائق عديدة؛ فمنهم من اتخذ الأسلوب التحليلي، ومنهم اتخذ الأسلوب الموازن، ومنهم من اتخذ الأسلوب الإجمالي، ومنهم من اتخذ الأسلوب الموضوعي والذي كثر في الأزمنة المتأخرة.

ومع التأمل في الأسلوب الموضوعي وسبق الكتابة فيه لفت انتباهي قوله تعالى: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الأحزاب].

فالناظر نظر تأمل لا يشك أن هذا السياق فيه تنويه مراد لتصوير حال المنافقين، وتشبيههم بحالة الذي ينزعه الموت من شدة الجبن والخوف والهلع، وأن للعيون

ووظائفها دلالات خارجة عن مجرد النظر إلى إفادة معنى، ثم نظرت في قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ [غافر: ١٩].

فإذا الفكرة تتبلور بورود آي من كتاب الله متعلقة بالعين ووظائفها ودلالاتها الزائدة عن مجرد النظر، حتى وقفت على ألفاظ العين في القرآن الكريم (العين، الطرف) ووظائفها (البصر، النظر)، وحيث أتيقن دخول الآية أو الآيات في البحث أدرسه وأنظر قول أهل اللغة والعلم فيه؛ حتى استقام لي بحمد الله عشرون موضعًا من كتاب الله حاولت جهدي أن أحافظ على لفظ القرآن الكريم في تسميتها، وسأتناولها بحول الله من خلال الخطة التالية:

أولاً: المقدمة

المبحث الأول: الدلالات المتعلقة بلفظ البصر

وفيه تمهيد وثمانية مطالب:

المطلب الأول: الأمر بتكرار الإبصار ووصفه بالخسء والتعب أن يجد خللاً في صنع الله تعالى.

المطلب الثاني: غض البصر.

المطلب الثالث: زيغ البصر.

المطلب الرابع: إزلاق البصر.

المطلب الخامس: خشوع البصر.

المطلب السادس: شخوص البصر.

المطلب السابع: بروق البصر.

المطلب الثامن: شهادة الأبصار.

المبحث الثاني: الدلالات المتعلقة بلفظ العين

وفيه تمهيد وسبعة مطالب:

المطلب الأول: قرار العين.

المطلب الثاني: لذة العين.

المطلب الثالث: مد العيون.

المطلب الرابع: تعدية العيون.

المطلب الخامس: دوران الأعين.

المطلب السادس: ازدراء الأعين.

المطلب السابع: خائنة الأعين.

المبحث الثالث: الدلالات المتعلقة بلفظ النظر

وفيه تمهيد وأربعة مطالب:

المطلب الأول: نظرة النبي إبراهيم عليه السلام في النجوم.

المطلب الثاني: نظر المنافقين بعضهم بعضاً حين ينصرفون عن آيات الله.

المطلب الثالث: نظر المغشي عليه من الموت.

المبحث الرابع: الدلالات المتعلقة بلفظ الطرف

وفيه تمهيد ومطلبان:

المطلب الأول: قاصرات الطرف.

المطلب الثاني: ارتداد الطرف.

وأما حدود البحث:

فبالنظر إلى تلك الكلمات الأربع ومشتقاتها في كلام الله تعالى، ومن خلال التأمل في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وقفت على الكثير من الآيات المتعلقة

بجارحة العين وألفاظها ومشتقاتها، وسيجد المطلع على هذا البحث أن بعض المواضع قد تدخل في هذا البحث، وبعضها ليس كذلك مما هو يخضع لرأي المفسر والتأمل في كلام أهل العلم على موضع من المواضع ؛ وحتى يتبين منهجي في اختيار المواضع، وإدراج ما تيقنت دخوله في حدود هذا البحث فقد اعتمدت على أحد طريقين لاعتماد المواضع المدروسة وهما:

١ - أن يأتي لفظ من هذه الألفاظ الأربعة مقترنًا بلفظ آخر، مضافًا إليه، ليس هو من جنسها، بل يفيد معنى زائدًا ظاهرًا، وهذا الطريق هو الأكثر.

٢ - أن يتكرر لفظ من تلك الألفاظ في سياق واحد، مع ما يدل دلالة واضحة من السياق أن تلك النظرة المعبر عنها لها معنى غير مجرد البصر.

والله أسأل الله الإخلاص والتوفيق والسداد وأن يجعل العمل مثرياً لمن كتبه وقرأه.

المبحث الأول: الدلالات المتعلقة بلفظ البصر

وفيه تمهيد وثمانية مطالب:

التمهيد:

وفيه معنى البصر: قال الخليل: "بصر: البَصَرُ: العَيْنُ، مذكّر، والبَصَرُ: نَفاذ في القلب. والبَصارة مصدر البصير، وقد بَصُرَ، وابصَرْتُ الشيءَ وتَبَصَّرْتُ به"[(١)].

وقد ورد لفظ البصر ومشتقاته في كتاب الله على معان شتى - كما ذكرها أصحاب الوجوه والنظائر - ؛ حيث أوصلها بعضهم إلى عشرة وجوه:

---

(١) العين (بصر ٧/ ١١٧).

الوجه الأول: البصير بالقلب، قال تعالى: ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٨]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴾ [فاطر: ١٩]، وقال تعالى: ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ﴾ [البقرة: ٧]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يونس: ٤٣].

الوجه الثاني: البصير بالعين، قال تعالى: ﴿ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ يوسف: ٩٦، وقال تعالى: ﴿ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان: ٢].

الوجه الثالث: البصير بالحجة، قال تعالى: ﴿ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴾ [طه: ١٢٥].

الوجه الرابع: المعتبر (٢)، قال تعالى: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ [ق: ٨].

الوجه الخامس: العليم (٣)، قال تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٣٤، ١٤٨]، وقال تعالى: ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق: ٢٢].

الوجه السادس: المعجزة، قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾ [الإسراء: ٥٩].

---

(٢) وعبّر عن هذا الوجه الحيري بقوله: العبرة.

(٣) هذا الوجه انفرد به الحيري، وتفسير قوله تعالى: ﴿ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ بالعلم: إن كان مع إثبات صفتي السمع والبصر فهو تفسير باللازم، وصحيح، وإن كان مع نفي هاتين الصفتين فلا يصح، وبقية الآيات المستشهد بها يصح فيها الوجه.

الوجه السابع: الرؤية، قال تعالى: ﴿ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ ﴾ [طه: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ﴾ [السجدة: ١٢].

الوجه الثامن: المؤمن، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴾ [فاطر: ١٩].

الوجه التاسع: البيان، قال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [الأعراف: ٢٠٣، الجاثية: ٢٠].

الوجه العاشر: الشهادة، قال تعالى: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ [القيامة: ١٤][٤].

وفرق الراغب بين البصر والبصيرة فقال: "البَصَر يقال للجارحة الناظرة، نحو قوله تعالى: ﴿ كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ ﴾ [النحل: ٧٧]، و ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [الأحزاب: ١٠]، وللقوّة التي فيها، ويقال لقوة القلب المدركة: بَصِيرَة وبَصَر، نحو قوله تعالى: ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق: ٢٢]، وقال: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم: ١٧]، وجمع البصر أَبْصَار، وجمع البصيرة بَصَائِر، قال تعالى: ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ ﴾ [الأحقاف: ٢٦]، ولا يكاد يقال للجارحة بصيرة، ويقال من الأوّل: أبصرت، ومن الثاني: أبصرته وبصرت به، وقلّما يقال بصرت في الحاسة إذا لم تضامّه رؤية القلب، وقال تعالى في الأبصار: ﴿ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ﴾ [مريم: ٤٢]"[٥].

---

(٤) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي (ص٢٠٠-٢٠١)، الوجوه والنظائر للدامغاني (١٦٥/١)، وجوه القرآن الكريم للحيري (ص٦٩)، الوجوه والنظائر للعسكري (ص١٢٣)، الأشباه والنظائر في القرآن لمقاتل بن سليمان (ص٢٢٥)، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم عن هارون بن موسى (ص٢٣٢).

(٥) المفردات في غريب القرآن (ص: ١٢٧).

المطلب الأول: الأمر بتكرار الإبصار ووصفه بالخسء والتعب أن يجد خللًا في صنع الله تعالى

يدل عليه قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٞ ۝٤﴾ [الملك].

قال ابن جرير: "وقوله: ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾ يقول جل ثناؤه: ثم ردّ البصر يا ابن آدم كرّتين، مرة بعد أخرى، فانظر ﴿هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾ أو تفاوت ﴿يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا﴾ يقول: يرجع إليك بصرك صاغرًا مُبْعَدًا من قولهم للكلب: اخسأ، إذا طردوه أي أبعد صاغراً ﴿وَهُوَ حَسِيرٞ﴾ يقول: وهو مُعْيٍ كالّ...وأخرج، عن ابن عباس: ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾ يقول: هل ترى في السماء من خَلل؟ ﴿يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٞ﴾ بسواد الليل". وأخرج عنه أيضاً في قوله: ﴿خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٞ﴾ "يقول: ذليلاً وقوله: ﴿وَهُوَ حَسِيرٞ﴾ يقول: مرجف". كما أخرج عن قتادة، قوله: ﴿يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا﴾ أي حاسراً ﴿وَهُوَ حَسِيرٞ﴾ أي مُعْيٍ"، وأخرج عنه أيضاً ﴿خَاسِئًا﴾ قال: صاغرا، ﴿وَهُوَ حَسِيرٞ﴾ يقول: مُعْيٍ لم ير خَلَلا ولا تفاوتا"[٦].

ونحو هذا عند الزجاج[٧]، ومكي بن أبي طالب[٨].

وقال السمعاني: " وَقَوله: ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾ أَي: مرتين، ومعناه: مرة بعد مرة، وإن زاد على المرتين، كالرجل يقول لغيره: قد قلت لك هذا القول مرة بعد مرة، وقد كان قال له مرات، ذكر القفال.وقال بعضهم: إنما ذكر المرتين؛ لأن الإنسان

(٦) جامع البيان (٥٠٦/٢٣).
(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ١٩٨).
(٨) الهداية الى بلوغ النهاية (١٢/ ٧٥٩٢).

في المرة الثانية يكون أحد بصراً وأكثر بصراً وأكثر نظراً. ويقال: الكرة الأولى بالعين. والأخرى بالقلب. "[٩].

وقال الزمخشري: "وأمره بتكرير البصر فيهنّ متصفحاً ومتتبعاً يلتمس عيباً وخللاً يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ أي إن رجعت البصر وكررت النظر لم يرجع إليك بصرك بما التمسته من رؤية الخلل وإدراك العيب، بل يرجع إليك بالخسوء والحسور، أي: بالبعد عن إصابة الملتمس. كأنه يطرد عن ذلك طرداً بالصغار والقماءة. وبالإعياء والكلال لطول الإجالة والترديد"[١٠].

ويقول حقي: "والحاصل أن تكرار النظر وتجوال الفكر مما يفيد تحقيق الحقائق وإذا كان ذلك النظر فيها عند طلب الخروق والشقوق لا يفيد إلا الكلال والحرمان تحقق الامتناع وما أتعب من طلب وجود الممتنع"[١١].

نتيجة الدراسة:

وبهذا يتبين أن الأمر بتكرار النظر، ثم تحديه أن يجد خللًا في صنع الله، ووصفه بالخسء والكلل، دون أن يدرك خللًا دليلٌ على خروج النظر في هذا السياق عن كونه نظرًا مجردًا للإبصار، بل هو مع التمعن والتكرار؛ لأن النظرة الثانية وما بعدها أكثر تركيزاً حال البحث.

المطلب الثاني: غــض البصـــــر

معناه في اللغة: قال ابن فارس: "(غَضَّ) الْغَيْنُ وَالضَّادُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى كَفٍّ وَنَقْصٍ، وَالْآخِرُ عَلَى طَرَاوَةٍ. فَالْأَوَّلُ الْغَضُّ: غَضُّ الْبَصَرِ. وَكُلُّ شَيْءٍ كَفَفْتَهُ فَقَدْ غَضَضْتَهُ"[١٢].

---

(٩) تفسير السمعاني (٦/ ٧).

(١٠) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٥٧٦).

(١١) روح البيان (١٠/ ٧٩).

(١٢) مقاييس اللغة (غضّ،٤/ ٣٨٣)..

وقال الراغب: "غض الغَضُّ: النّقصان من الطّرف، والصّوت، ومافي الإناء. يقال: غَضَّ وأَغَضَّ. قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ﴾ [النور: ٣١]"(١٣).

معنى غض البصر في كتاب الله تعالى:

قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور].

قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور].

اتفقت عبارات السلف والمفسرين وأهل اللغة على أن المراد بغض البصر في الموضعين كفه عن ما لا يحل النظر إليه(١٤)؛ قال ابن كثير: "هذا أمر من الله تعالى لعباده

---

(١٣) المفردات في غريب القرآن (ص: ٦٠٧)..

(١٤) جامع البيان (١٥٥/١٩)، تفسير ابن أبي حاتم (٢٥٧٠/٨)، الهداية الى بلوغ النهاية (٨/ ٥٠٦٤)، التفسير البسيط (١٩٦/١٦)، تفسير السمعاني (٥١٩/٣)، تفسير البغوي (٤٠١/٣)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١٧٧/٤)، زاد المسير في علم التفسير (٢٨٩/٣)، تفسير القرطبي (٢٢٢/١٢)، تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (٦٦/٢)، تفسير ابن كثير (٤١/٦)، فتح القدير للشوكاني (٢٦/٤)، تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٦٦)، التحرير والتنوير (٢٠٣/١٨)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٥٠٦/٥)، غريب القرآن للسجستاني (ص:٩٤)، معاني القرآن للنحاس (٥٢٠/٤)، مشكل إعراب القرآن لمكي (٥١١/٢).

المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم، فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه، وأن يغضوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر على محرم من غير قصد، فليصرف بصره عنه سريعاً، كما رواه مسلم في صحيحه، من حديث يونس بن عبيد، عن عمرو بن سعيد، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، عن جده جرير بن عبدالله البجلي، ﷺ، قال: سألت النبي ﷺ، عن نظرة الفجأة، فأمرني أن أصرف بصري..وفي الصحيح عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: "إياكم والجلوس على الطرقات". قالوا: يا رسول الله، لا بد لنا من مجالسنا، نتحدث فيها. فقال رسول الله ﷺ: "إن أبيتم، فأعطوا الطريق حقه". قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: "غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر""[١٥] [١٦].

واختلفوا في (من) من قوله تعالى: ﴿ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ فقال بعضهم: إنها صلة والأكثرون على أنها تبعيضية. قال ابن عطية: "أظهر ما في مِنْ أن تكون للتبعيض، وذلك أن أول نظرة لا يملكها الإنسان وإنما يغض فيما بعد ذلك فقد وقع التبعيض"[١٧]، وقال الشوكاني: "و«من» فِي قَوْلِهِ: مِنْ أَبْصارِهِمْ هِيَ: التَّبْعِيضِيَّةُ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الْأَكْثَرُونَ"[١٨].

---

(١٥) أخرجه البخاري كتاب المظالم والغصب، بَابُ أَفْنِيَةِ الدُّورِ وَالجُلُوسِ فِيهَا، وَالجُلُوسِ عَلَى الصُّعُدَاتِ (١٣٢/٣)، برقم (٢٤٦٥).

(١٦) تفسير ابن كثير، بتصرف (٦/ ٤٢).

(١٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ١٧٧).

(١٨) فتح القدير للشوكاني (٢٦/٤).

نتيجة الدراسة:

أنه لما كانت نعمة البصر من أجل نعم الله على الإنسان، فلم يترك الله عباده المؤمنين ليطلقوا أبصارهم فيما لا يحل لهم، فتنفذ سهام الشيطان إلى قلوبهم بالشهوات والشبهات، فجاءت آيات هذا المبحث بتحجيم النظر وضبطه؛ حيث يقع على الحلال دون الحرام.

المطلب الثالث: زيــغ البصـــــــر

معنى الزيغ في اللغة:

قال ابن فارس: "زاغ: الزَّاءُ وَالْيَاءُ وَالْغَيْنُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى مَيْلِ الشَّيْءِ" وقال الزبيدي: "وقيلَ: ﴿زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، أَي: مالَتْ عَن مَكانِهَا، كَمَا يَعْرِضُ للإِنْسَانِ عِنْدَ الخَوْفِ"[١٩].

وأما تعريف الزيغ في الاصطلاح: الميل عن الاستقامة، والانحراف عن جهة الصواب والتزايغ التمايل[٢٠].

ويلاحظ من خلال التعريفين اللغوي والاصطلاحي توافقهما على معنى الميل في تعريف الزيغ، ولأبي هلال العسكري تفريق بديع حيث يقول: " الْفرق بَين الزيغ والميل: أَن الزيغ مُطلقًا لَا يكون إِلَّا الْميل عَن الْحق يُقَال فلَان من أهل الزيغ وَيُقَال أَيْضا زاغ عَن الْحق وَلَا أعرف زاغ عَن الْبَاطِل"[٢١].

---

(١٩) مقاييس اللغة لابن فارس (زيغ،٣/٤٠)، وتاج العروس للزبيدي (زاغ،٢٢/٤٩٧).

(٢٠) التوقيف على مهمات التعاريف (ص ١٨٨).

(٢١) الفروق اللغوية (ص٢١٣).

آيات زيغ البصر في القرآن:

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأحزاب].

"قال ابن جرير: " وقوله: ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾، يقول: وحين عدلت الأبصار عن مقرّها، وشخصت طامحة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ثم أخرج عن قتادة ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾: شخصت"(٢٢).

وقال ابن كثير: ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ﴾ أَيْ: مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ وَالْفَزَعِ"(٢٣).

وقال الماوردي: "﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ فيه وجهان: أحدهما: شخصت. الثاني: مالت"(٢٤).

وقال السمعاني: " أَي: شخصت الْأَبْصَار، وَفِي الْعَرَبيَّة معنى زاغت: مَالَتْ، فَكَأَنَّهَا مَالَتْ شاخصة، فَهَذَا من الرعب وَالْخَوْف"(٢٥).

وقال الزمخشري: "﴿ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة وشخوصاً".

وقيل: عدلت عن كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوّها لشدة الروع"(٢٦).

وقال ابن عطية: "وزاغَتِ معناه مالت عن مواضعها، وذلك فعل الواله الفزع المختبل"(٢٧).

---

(٢٢) جامع البيان (٢٠/ ٢١٨).

(٢٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٨٨).

(٢٤) النكت والعيون الماوردي (٣٧٩/٤).

(٢٥) تفسير السمعاني (٢٦٣/٤).

(٢٦) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٥٢٦/٣).

(٢٧) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤ / ٣٧٢).

وقال القرطبي: " لا تلتفت إلا إلى عدوها دَهَشًا مِنْ فَرْطِ الْهَوْلِ"(٢٨).

قال ابن القيم: "القلب إذا امتلأ رعبا شغله ذلك عن ملاحظة ما سوى المخوف فزاغ البصر عن الوقوع عليه وهو مقابله"(٢٩).

فمن خلال أقوالهم يتبين جليًا خروج الإبصار عن النظر المجرد إلى إفادة معنى زائد، من حيث الشخوص والميل والوله والفزع والدهشة والروع، حتى استفاد منها ابن عطية معنى الخبل نتيجة لشدة الفزع.

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ ﴾ [ص].

في هذه الآية الكريمة ورد الإبصار بمعنى الميل المسبب عدم الرؤية، كما هو عن السلف كالضحاك والمفسرين كابن جرير والواحدي والسمعاني وغيرهم(٣٠).

ويفيد هذا الموضع أن زيغ الأبصار قد يكون شديد الميلان شديد التركيز لدرجة عدم إدراك الرؤية المباشرة المستقيمة.

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ [النجم].

قال ابن جرير: "القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ما مال بصر محمد يَعْدِل يمينًا وشمالًا عما رأى، أي ولا جاوز ما أمر به قطعاً، يقول: فارتفع عن الحدّ الذي حُدّ له... ثم أخرج عن ابن عباس، في قوله: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ قال: ما زاغ يمينًا ولا شمالًا ولا طغى، ولا جاوز ما أُمر به.

---

(٢٨) تفسير القرطبي (١٤ / ١٤٥).

(٢٩) شفاء العليل لابن القيم (ص ١٠٠).

(٣٠) جامع البيان (١٣٨/٢٠)، التفسير الوسيط للواحدي (٥٦٥/٣)، تفسير السمعاني (٤٥١/٤).

وعن محمد بن كعب القرظي ﴿ مَازَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَاطَغَىٰ ﴾ قال رأى جبرائيل في صورة المَلك"[٣١].

وقال الزجاج: "أي ما زاغ بصر رسول الله ﷺ وَمَا طَغَى، ما عدل وَلاَ جَاوَزَ القصدَ في رؤيته جبريل قد ملأ الأفقَ"[٣٢].

وقال البغوي: "أَيْ مَا مَالَ بَصَرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا وَمَا طَغَى، أَيْ مَا جَاوَزَ مَا رَأَى. وَقِيلَ: مَا جَاوَزَ مَا أُمِرَ بِهِ وَهَذَا وَصْفُ أَدَبِهِ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ إِذْ لَمْ يَلْتَفِتْ جَانِبًا"[٣٣].

وقال ابن عطية: "وقوله تعالى: ﴿ مَازَاغَ ٱلْبَصَرُ ﴾ قال ابن عباس معناه: ما جال هكذا ولا هكذا. وقوله: وَما طَغى معناه: ولا تجاوز المرئي، بل وقع عليه وقوعاً صحيحاً، وهذا تحقيق للأمر ونفي لوجود الريب عنه"[٣٤].

وبهذا يتبين أن ورود البصر هنا مقروناً بنفي الزيغ عنه لإثبات رؤيته صلى الله عليه وسلم لجبريل من غير ميل عنه لا يميناً ولا شمالاً.

نتيجة الدراسة:

يتبين من خلال هذا العرض لتلك الآيات ؛ أن ورود الزيغ مقرونًا بالأبصار في كتاب الله تعالى يأتي على معنيين:

---

(٣١) جامع البيان (٢٢ / ٥٢٠).

(٣٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥ / ٧٢).

(٣٣) تفسير البغوي (٤ / ٣٠٧).

(٣٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥ / ٢٠٠).

المعنى الأول: ميل البصر مع الشخوص مع شدة الخوف والهول والهلع، كما قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأحزاب].

المعنى الثاني: ميل البصر عن مجرد النظر، كما في قوله تعالى: ﴿ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ ﴾ [ص]، وقوله تعالى: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ [النجم].

المطلب الرابع: إزلاق البصـــــر

معنى الإزلاق في اللغة.

قال ابن فارس: " (زَلُقَ) الزَّاءُ وَاللَّامُ وَالْقَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى تَزَلُّجِ الشَّيْءِ عَنْ مَقَامِهِ. مِنْ ذَلِكَ الزَّلَقُ. وَيُقَالُ أَزْلَقَتِ الْحَامِلُ، إِذَا أَزْلَقَتْ وَلَدَهَا. وَيُقَالُ وَهُوَ الْأَصَحُّ إِذَا أَلْقَتِ الْمَاءَ وَلَمْ تَقْبَلْهُ رَحِمُهَا. وَالْمَزْلَقَةُ وَالْمَزْلَقُ: الْمَوْضِعُ لَا يُثْبَتُ عَلَيْهِ. فَأَمَّا قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ ﴾ [القلم: ٥١]. فَحَقِيقَةُ مَعْنَاهُ أَنَّهُ مِنْ حِدَّةِ نَظَرِهِمَا حَسَدًا، يَكَادُونَ يُنَحُّونَكَ عَنْ مَكَانِكَ"[٣٥].

وقال الراغب: "زلق الزَّلَقُ والزّلل متقاربان، قال: ﴿ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ [الكهف: ٤٠]، أي: دحضا لا نبات فيه، نحو قوله: ﴿ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، والْمَزْلَقُ: المكان الدّحض. قال: ﴿ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ ﴾ [القلم: ٥١]، ويقال: زَلَقَهُ وأَزْلَقَهُ فَزَلِقَ، قال يونس: لم يسمع الزَّلقُ والْإِزْلَاقُ إلّا في القرآن، وروي أنّ أبيّ بن كعب قرأ: (وأَزْلَقْنَا ثمّ الآخرين) أي: أهلكنا"[٣٦].

---

(٣٥) مقاييس اللغة (زلق،٣/ ٢١).

(٣٦) المفردات في غريب القرآن (ص: ٣٨٢).

والذي يظهر أن الاشتقاق من (زلق) وهو ضد (ثبت)، وقد يتعثر الثبات بانزلاق سببه؛ الأرض الزلقة أو غيرها؛ ومما يستخرج هنا عبارة الطاهر: "وَالزَّلَقُ: بِفَتْحَتَيْنِ زَلَلُ الرِّجْلِ مِنْ مُلَاسَةِ الْأَرْضِ مِنْ طِينٍ عَلَيْهَا أَوْ دُهْنٍ"(٣٧).

معنى إزلاق البصر في كتاب الله.

قال تعالى: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [القلم: ٥١].

﴿ لَيُزْلِقُونَكَ ﴾: قرأ نافع وحده بفتح الياء من زلق وقرأ الباقون بضم الياء من أزلق. فالحجة لمن ضمّ: أنه مأخوذ من فعل رباعي. والحجة لمن فتح: أنه مأخوذ من فعل ثلاثي(٣٨).

وفي تفسير إزلاق الكفار للنبي صلى الله علي وسلم بأعينهم قولان ذكرهما عامة المفسرين وأصحاب المعاني(٣٩).

القول الأول: أَن الـمُرَاد مِنْهَا هُوَ أَنهم ينظرُونَ إِلَيْك نظر الْبغضَاء والعداوة، فيكادون من شدَّة نظرهم أَن يصرعونك ويسقطونك، وَهَذَا على مَذْهَب كَلَام الْعَرَب. تَقول الْعَرَب: نظر فلَان نظرًا يكَاد يصرعه أَو يَأْكُلهُ، أَو ينظر إِلَيّ فلَان نظرًا يكَاد

(٣٧) التحرير والتنوير (٢٩/ ١٠٧).

(٣٨) السبعة في القراءات (ص: ٦٤٧).

(٣٩) تفسير عبد الرزاق (٣/ ٣٣٦)، جامع البيان (٢٣/ ٥٦٤)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢١١)، الهداية الى بلوغ النهاية (١٢/ ٧٦٥٦)، التفسير البسيط (٢٢/ ١٢٠)، تفسير السمعاني (٦/ ٣٢)، تذكرة الأريب في تفسير الغريب (ص:٤١١)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٠/ ٦١٨)، تفسير القرطبي (١٨/٢٥٤)، تفسير ابن كثير (٨/٢٠١)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٠/ ٣٣٤)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٣٠)، التحرير والتنوير (٢٩/١٠٧)، معاني القرآن للفراء (٣/ ١٧٩)، مجاز القرآن (٢/ ٢٦٦)، تأويل مشكل القرآن (ص: ١٠٨)، غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٤٨٢)، غريب القرآن للسجستاني (ص: ٥٣٩)، بدائع الفوائد (٢/ ٢٣١).

يصرعني أَو يكَاد يأكلني بِهِ أَي: لَو أمكنه أَن يصرعني بِهِ يصرعني أَو يأكلني بِهِ لأكلني.

وهو قول الزجاج والفراء وابن قتيبة ورجحه السمعاني والواحدي في البسيط ونسبه إلى أهل التحقيق.

القول الثاني: يعتانونك، وَمَعْنَاهُ: يصيبونك بأعينهم. ذكره الْكَلْبِيّ وَمُقَاتِل وَغَيرهمَا، وَذكره الْفراء أَيْضاً، وأما ابن كثير فلم يلتفت إلى غيره ونسبه إلى ابن عباس ومجاهد وغيرهما؛ فقال: "قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَغَيْرُهُمَا: ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾ لينفذونك بأبصارهم، أي: ليعينونك بأبصارهم، بمعنى: يحسدونك لبغضهم إياك لولا وقاية الله لك، وحمايته إياك منهم. وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق، بأمر الله، عز وجل، كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة.... ثم أطنب في ذكر الأحاديث التي تثبت العين وخطورتها وأثرها".

والذي يظهر أن هذا الاختلاف من قبيل اختلاف التنوع، وكلاهما تحتمله الآية واللغة، والأول مبني على حنق الكفار وأمانيهم، والثاني على محاولاتهم وكلاهما دونه وعد الله تعالى لنبيه أن يعصمه من الناس.

نتيجة الدراسة:

ورود جارحة البصر في كتاب الله تعالى كقوة يتأثر بها من وجهت إليه سهامها، سواء تعثر أو ترنح أو سقط أو مات من أثر العين.

المطلب الخامس: خشـــــوع البصـــــر

معنى الخشوع في اللغة.

قال ابن فارس: "(خَشَعَ) الْخَاءُ وَالشِّينُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى التَّطَامُنِ. يُقَالُ خَشَعَ، إِذَا تَطَامَنَ وَطَأْطَأَ رَأْسَهُ، يَخْشَعُ خُشُوعًا. وَهُوَ قَرِيبُ الْمَعْنَى مِنَ

الْخُضُوعِ، إِلَّا أَنَّ الْخُضُوعَ فِي الْبَدَنِ وَالْإِقْرَارَ بِالِاسْتِخْذَاءِ، وَالْخُشُوعَ فِي الصَّوْتِ وَالْبَصَرِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ ﴾ [القلم: ٤٣]. "[٤٠].

وقال أبو هلال العسكري في الفروق: "وقيل: الخشوع قريب من الخضوع إلا أن الخضوع في البدن والخشوع في الصوت والبصر، لقوله تعالى: ﴿ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ ﴾"[٤١].

وذهب الراغب إلى أن الخشوع يشمل عموم الجوارح فقال: " الخُشُوع: الضّراعة، وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح.. "[٤٢].

وقال في التعريفات: "الخشوع والخضوع والتواضع: بمعنى واحد، وفي اصطلاح أهل الحقيقة: الخشوع: الانقياد للحق، وقيل: هو الخوف الدائم في القلب، وقيل: من علامات الخشوع أن العبد إذا غضب أو خولف أو رُدَّ عليه استقبل ذلك بالقبول"[٤٣].

والخشوع بمعناه الاصطلاحي ليس هو موضع بحثنا هنا إذ المراد في هذا البحث تلك الحالة التي تعتري البصر فيفهم من حالة البصر حينها انكسار إما لتواضع أو خوف أو ذل.

آيات خشوع البصر في القرآن الكريم:

وهي قول الله تعالى: ﴿ خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ۝٧ ﴾ [القمر].

---

(٤٠) تاج العروس (خشع٢٠/٥٠٦).

(٤١) الفروق اللغوية بترتيب وزيادة (ص: ٢١٧).

(٤٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٢٨٣).

(٤٣) التعريفات (ص: ٩٨).

وقول تعالى: ﴿ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [القلم: ٤٣].

وقول تعالى: ﴿ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المعارج: ٤٤].

وقول تعالى: ﴿ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ﴿٩﴾ ﴾ [النازعات: ٩].

اتفقت عبارات المفسرين على أن المقصود بخشوع الأبصار في جميع آياته هنا ذلة أصحابها لما لحق بهم من الهوان والصغار؛ قال ابن جرير: "وقوله: ﴿ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ ﴾ يقول: خاضعة أبصارهم للذي هم فيه من الخزي والهوان"(٤٤).

وكشف عن مقصود بحثنا القرطبي؛ إذ كشف علاقة الخشوع بالبصر فقال: "الْخُشُوعُ فِي الْبَصَرِ الْخُضُوعُ وَالذِّلَّةُ، وَأَضَافَ الْخُشُوعَ إِلَى الْأَبْصَارِ لِأَنَّ أَثَرَ الْعِزِّ وَالذُّلِّ يَتَبَيَّنُ فِي نَاظِرِ الْإِنْسَانِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ﴿٩﴾ ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيٍّ ﴾. وَيُقَالُ: خَشَعَ وَاخْتَشَعَ إِذَا ذَلَّ. وَخَشَعَ بِبَصَرِهِ أَيْ غَضَّهُ"(٤٥). وقال في موضع آخر: "مَعْنَى خاشِعَةٌ مُنْكَسِرَةٌ ذَلِيلَةٌ مِنْ هَوْلِ مَا ترى. نظيره: ﴿ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ﴾ [القلم: ٤٣]. والمعنى أبصار أصحابها، فحذف المضاف"(٤٦).

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية: "فإن الخشوع يجمعُ معنيَين: أحدهما الذلُّ والخضوع والتواضع، والثاني السكون والثبات. ومن ذلك قوله: ﴿ خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيٍّ ﴾ [الشورى: ٤٥]، وهو الانخفاض والسكون. ومنه

(٤٤) جامع البيان (٢٣/ ٦٢٥).
(٤٥) تفسير القرطبي (١٧/ ١٢٩).
(٤٦) المرجع السابق (١٩/١٩٦).

خشوع الأرض، وهو سكونُها وانخفاضُها، فإذا أُنزِلَ عليها الماءُ اهتزَّتْ بدلَ السكون، ورَبَتْ بدلَ الانخفاض"(٤٧).

وحيث إن أقوى مراتب التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن، فقد جاء في سورة الشورى تفصيلًا شافيًا عن تلك الحالة التي ذكرها الله سبحانه عن الكافرين وذلتهم وطريقة نظرهم، وتوصيف أبصارهم وهم في ذلك الموقف، فقال الله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الشورى: ٤٥].

نتيجة الدراسة:

حيث جاء البصر مقرونًا بالخشوع؛ لإفادة موقف الذل والهوان للكافرين في مواقف الآخرة في جميع آياته، وأن مما يتضح به الخشوع في النفس البشرية هو التعبير من خلال البصر وانكساره وإيحاء عينيه.

المطلب السادس: شخـــوص البصـــــر

معنى شخوص البصرفي اللغة.

قال ابن فارس: "(شَخَصَ) الشِّينُ وَالْخَاءُ وَالصَّادُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى ارْتِفَاعٍ فِي شَيْءٍ. مِنْ ذَلِكَ الشَّخْصُ، وَهُوَ سَوَادُ الْإِنْسَانِ إِذَا سَمَا لَكَ مِنْ بُعْدٍ. ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَى ذَلِكَ فَيُقَالُ: شَخَصَ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ. وَذَلِكَ قِيَاسُهُ. وَمِنْهُ أَيْضًا شُخُوصُ الْبَصَرِ"(٤٨). وقال الراغب: "شخص الشَّخْصُ: سواد الإنسان القائم المرئيّ من بعيد، وقد شَخَصَ من بلده: نفذ، وشَخَصَ سهمه، وبصره، وأَشْخَصَهُ صاحبه، قال تعالى: ﴿لِيَوْمٍ

(٤٧) جامع المسائل، لابن تيمية (٥/ ١٦٤).
(٤٨) مقاييس اللغة (شخص،٣/ ٢٥٤).

تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، ﴿ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [الأنبياء: ٩٧]، أي: أجفانهم لا تطرف"(٤٩).

فشخوص البصر معناه النظر إلى أعلى من غير تحريك الأجفان في حالة دالة على الاهتمام والذهول والخوف.

آيات شخوص البصر:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [إبراهيم]. وقال تعالى: ﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [الأنبياء].

توافقت أقوال السلف والمفسرين على أن معنى شخوص البصر هنا ارتفاعه وعدم ارتداده من غير تحريك للجفون في حالة من الهول والذهول في مواقف الآخرة؛ قال قتادة: ﴿ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ شخصت فيه والله أبصارهم، فلا ترتدّ إليهم"(٥٠)، قال الطاهر: "وَالشُّخُوصُ: إِحْدَادُ الْبَصَرِ دُونَ تَحَرُّكٍ كَمَا يَقَعُ لِلْمَبْهُوتِ"(٥١)، وقال أبو حاتم: " شاخصة أبصار الَّذين كفرُوا: مُرْتَفعَة الأجفان لَا تكَاد تطرف من هول مَا هم فِيهِ"(٥٢).

ويتبين في هذا ارتباط عدم ارتداد الطرف بمعنى شخوصه كما هو في سياق آية سورة إبراهيم ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ [إبراهيم]. وبهذا يكون عدم ارتداد الطرف نتيجة لشدة شخوص البصر.

---

(٤٩) المفردات في غريب القرآن (ص٤٤٧).

(٥٠)جامع البيان (١٧/ ٢٩).

(٥١) التحرير والتنوير (١٧/ ١٥١).

(٥٢) غريب القرآن للسجستاني (ص: ٢٨٨).

نتيجة الدراسة:

حيث خرج البصر في هذين الموضعين من كتاب الله من النظر المجرد إلى حالة عامة، تصور هول الإنسان الظالم، وأنه في حالة من التركيز وانجذاب بصره إلى العلو خوفًا وهلعًا من المنظور.

المطلب السابع: بـــروق البصـــــــر

معنى بروق البصر في اللغة.

قال ابن فارس: "الْبَاءُ وَالرَّاءُ وَالْقَافُ أَصْلَانِ تَتَفَرَّعُ الْفُرُوعُ مِنْهُمَا: أَحَدُهُمَا لَمَعَانُ الشَّيْءِ؛ وَالْآخَرُ اجْتِمَاعُ السَّوَادِ وَالْبَيَاضِ فِي الشَّيْءِ...وَالْإِنْسَانُ إِذَا بَقِيَ كَالْمُتَحَيِّرِ قِيلَ بَرِقَ بَصَرُهُ بَرَقًا، فَهُوَ بَرِقٌ فَزِعٌ مَبْهُوتٌ. وَكَذَلِكَ تَفْسِيرُ مَنْ قَرَأَهَا: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧﴾ [القيامة]، فَأَمَّا مَنْ قَرَأَ: {بَرِقَ الْبَصَرُ} [القيامة: ٧] فَإِنَّهُ يَقُولُ: تَرَاهُ يَلْمَعُ مِنْ شِدَّةِ شُخُوصِهِ تَرَاهُ لَا يُطِيقُ"(٥٣). وقال الراغب: "برق، البَرْقُ: لمعان السحاب، قال تعالى: ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ [البقرة: ١٩]. يقال: بَرِقَ وأَبْرَقَ، وبَرَقَ يقال في كل ما يلمع، نحو: سيف بَارِقٌ، وبَرَقَ وبَرِقَ يقال في العين إذا اضطربت وجالت من خوف قال عزّ وجل: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧﴾ [القيامة]، وقرئ: (برَق)"(٥٤).

ويتبين من خلال اللغتين في (برَق) (برِق) أنهما حالتان متعلقان بالعين وأبصارها حل الفزع وشدة الخوف.

---

(٥٣) مقاييس اللغة (برق،١/ ٢٢١) بتصرف.

(٥٤) المفردات في غريب القرآن (ص: ١١٨).

المطلب الثاني: معنى بروق البصر في كتاب الله

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ ﴾ [القيامة].

"قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ ﴾ إجماع القراء على كسر الراء إلا (نافعاً) فإنه فتحها. فالحجة لمن كسر: أن الكسر لا يكون إلّا في التحيّر.. فأما الفتح فلا يكون إلا الضّياء وظهوره كقولهم: برق الصبح والبرق إذا لمعا وأضاءا"(٥٥).

وعلى نحو ما تقدم في القراءتين تقاربت عبارات المفسرين في معنى بروق البصر؛ قال ابن عطية: ﴿ بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴾ بكسر الراء بمعنى شخص وشق وحار. وقرأ نافع وعاصم بخلاف، وعبد الله بن أبي إسحاق وزيد بن ثابت ونصر بن عاصم «برق» بفتح الراء، بمعنى لمع وصار له بريق وحار عند الموت، والمعنى متقارب في القراءتين، وقال أبو عبيدة «برق» بالفتح شق، وقال مجاهد هذا عند الموت، وقال الحسن هذا في يوم القيامة"(٥٦).

والمعنيان متقاربان؛ كما أشار إلى ذلك ابن عطية آنفاً، وابن كثير(٥٧)، والطاهر ابن عاشور(٥٨).

ولئن كان الكسر يدل على شدة الاندهاش والفتح يدل اللمعان فهذا الموضع قريب من تعبير القرآن الكريم عن ذات الحالة التي تعتريهم؛ قال ابن كثير: "وَهَذَا

---

(٥٥) الحجة في القراءات السبع (ص: ٣٥٧) السبعة في القراءات (ص: ٦٦١).

(٥٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٤٠٣)، غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٤٩٩)، غريب القرآن للسجستاني (ص:١٢٧).

(٥٧) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٧٧).

(٥٨) التحرير والتنوير (٢٩/ ٣٤٤).

الَّذِي قَالَهُ شَبِيهٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٤٣] "[٥٩]، فكلا القراءتين تعبران عن حالة البصر حين السكرات.

نتيجة الدراسة:

حيث جاء البصر موصوفاً بشدة اللمعان، نظراً لشدة شخوصه، أو بالحيرة والاضطراب، نظراً لهول ما يرى، وكل ذلك حين يعالج ابن آدم سكرات الموت.

المطلب الثامن: شهـــــادة الأبصـــــار

معنى الشهادة في اللغة:

قال ابن فارس: "الشِّينُ وَالْهَاءُ وَالدَّالُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى حُضُورٍ وَعِلْمٍ وَإِعْلَامٍ، لَا يَخْرُجُ شَيْءٌ مِنْ فُرُوعِهِ عَنِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ. مِنْ ذَلِكَ الشَّهَادَةُ، يَجْمَعُ الْأُصُولَ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا مِنَ الْحُضُورِ، وَالْعِلْمِ، وَالْإِعْلَامِ. يُقَالُ شَهِدَ يَشْهَدُ شَهَادَةً. "[٦٠]. وقال الراغب: "شهد الشُّهُودُ والشَّهَادَةُ: الحضور مع المشاهدة، إمّا بالبصر، أو بالبصيرة، وقد يقال للحضور مفردا قال الله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ [السجدة: ٦]، لكن الشهود بالحضور المجرّد أولى، والشّهادة مع المشاهدة أولى،.. ويقال: شَهِدْتُ كذا، أي: حضرته، وشَهِدْتُ على كذا، قال: شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ"[٦١].

والحضور من لوازم الشهادة وشهادة البصر على العبد في الحساب حيث ينطق بما رأى في الدنيا.

معنى شهادة البصر في كتاب الله.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [فصلت].

---

(٥٩) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٧٧).

(٦٠) مقاييس اللغة (٣/ ٢٢١).

(٦١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٤٦٦).

ومن خير ما يفسر به القرآن السنة النبوية - وإليه أشار أكثر المفسرين - ومن ذلك ما ذكره ابن كثير: "وَقَوْلُهُ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا ﴾ أَيْ: وَقَفُوا عَلَيْهَا، ﴿ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [فصلت: ٢٠]، أَيْ: بِأَعْمَالِهِمْ مِمَّا قَدَّمُوهُ وَأَخَّرُوهُ، لَا يُكْتَم مِنْهُ حَرْفٌ.

﴿ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ﴾ أَيْ: لَامُوا أَعْضَاءَهُمْ وَجُلُودَهُمْ حِينَ شَهِدُوا عَلَيْهِمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَجَابَتْهُمُ الْأَعْضَاءُ: ﴿ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [فصلت: ٢١] أَيْ: فَهُوَ لَا يُخَالَفُ وَلَا يُمَانَعُ، وَإِلَيْهِ تَرْجِعُونَ. قَالَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَزَّارُ: "حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ قَادِمٍ، حَدَّثَنَا شَرِيكٌ، عَنْ عُبَيْدٍ الْمُكْتَب، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ وَتَبَسَّمَ، فَقَالَ: "أَلَا تَسْأَلُونِي عَنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتُ؟" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ؟ قَالَ: "عَجِبْتُ مِنْ مُجَادَلَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ: أَيْ رَبِّي، أَلَيْسَ وَعَدْتَنِي أَلَّا تَظْلِمَنِي؟ قَالَ: بَلَى فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أَقْبَلُ عَلَيَّ شَاهِدًا إِلَّا مِنْ نَفْسِي. فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَوَ لَيْسَ كَفَى بِي شَهِيدًا، وَبِالْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ؟! قَالَ: فَيُرَدِّدُ هَذَا الْكَلَامَ مِرَارًا". قَالَ: "فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَتَتَكَلَّمُ أَرْكَانُهُ بِمَا كَانَ يَعْمَلُ، فَيَقُولُ: بُعْدًا لكُنَّ وسُحقا، عَنْكُنَّ كُنْتُ أُجَادِلُ"(٦٢).

(٦٢) أخرجه البزار في مسنده (١٤/٤٤) برقم (٧٤٧٦)ومسلم (٤/ ٢٢٨٠)، برقم (٢٩٦٩)، والنسائي في السنن الكبرى كتاب التفسير، سورة الانفطار (١٠/ ٣٢٦) برقم (١١٥٨٩)، وابن حبان في صحيحه كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب إخباره ﷺ عن البعث (١٦/ ٣٥٨) برقم (٧٣٥٨)،.

نتيجة الدراسة:

حيث اكتسب البصر في هذا الموقف استقلال العاقل المؤتمن، ونزل منزلته ومكن من الحديث والشهادة بما رأى في الدنيا.

المبحث الثاني: الدلالات المتعلقة بلفظ العين

وفيه تمهيد وسبعة مطالب:

التمهيد: وفيه معنى العين: اللفظ الثاني: العين: قال ابن فارس: " عَيَنَ الْعَيْنُ وَالْيَاءُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى عُضْوٍ بِهِ يُبْصَرُ وَيُنْظَرُ، ثُمَّ يُشْتَقُّ مِنْهُ، وَالْأَصْلُ فِي جَمِيعِهِ مَا ذَكَرْنَا.. وَعَيْنُ الْقَلْبِ مَثَلٌ عَلَى مَعْنَى التَّشْبِيهِ.. وَرَجُلٌ عَيُونٌ وَمِعْيَانٌ: خَبِيثُ الْعَيْنِ. وَالْعَائِنُ: الَّذِي يَعِينُ، .. وَمِنَ الْبَابِ الْعَيْنُ الْجَارِيَةُ النَّابِعَةُ مِنْ عُيُونِ الْمَاءِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ عَيْنًا تَشْبِيهًا لَهَا بِالْعَيْنِ النَّاظِرَةِ لِصَفَائِهَا وَمَائِهَا. وَيُقَالُ: قَدْ عَانَتِ الصَّخْرَةُ، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ بِهَا صَدْعٌ يَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ. وَيُقَالُ: حَفَرَ فَأَعْيَنَ وَأَعَانَ.. وَمِنَ الْبَابِ الْعَيْنُ: السَّحَابُ مَا جَاءَ مِنْ نَاحِيَةِ الْقِبْلَةِ، وَهَذَا مُشَبَّهٌ بِمُشَبَّهٍ، لِأَنَّهُ شُبِّهَ بِعَيْنِ الْمَاءِ الَّتِي شُبِّهَتْ بِعَيْنِ الْإِنْسَانِ. يَقُولُونَ: إِذَا نَشَأَ السَّحَابُ مِنْ قِبَلِ الْعَيْنِ فَلَا يَكَادُ يُخْلِفُ.."(٦٣).

وعرض الراغب للفظ من جهة اللغة مقرونا بالآيات القرآنية وتعدد استعمالاته واشتقاقه فقال: "عين العَيْنُ الجارحة. قال تعالى: ﴿ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾ [يس: ٦٦]، ﴿ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ ﴾ [التوبة: ٩٢]، ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ﴾ [القصص: ٩]، ﴿ كَيْ نَقَرَّ عَيْنُهَا ﴾ [طه: ٤٠].. ويستعار الْعَيْنُ لمعان هي موجودة في الجارحة بنظرات مختلفة، واستعير للثّقب في المزادة

(٦٣) مقاييس اللغة بتصرف (عين،٤/١٩٩).

تشبيها بها في الهيئة، وفي سيلان الماء منها فاشتقّ منها: سقاء عَيِّنٌ ومُتَعَيِّنٌ: إذا سال منها الماء، وقولهم: عَيِّنْ قربتك، أي: صبّ فيها ما ينسدّ بسيلانه آثار خرزه، وقيل للمتجسّس: عَيْنٌ تشبيها بها في نظرها، وذلك كما تسمّى المرأة فرجاً، والمركوب ظهراً، فيقال: فلان يملك كذا فرجاً وكذا ظهراً لّما كان المقصود منهما العضوين، وقيل للذّهب: عَيْنٌ تشبيها بها في كونها أفضل الجواهر، كما أنّ هذه الجارحة أفضل الجوارح ومنه قيل: أَعْيَانُ القوم لأفاضلهم، وأَعْيَانُ الإخوة: لبني أب وأمّ، قال بعضهم: الْعَيْنُ إذا استعمل في معنى ذات الشيء فيقال: كلّ ماله عَيْنٌ، فكاستعمال الرّقبة في المماليك، وتسمية النّساء بالفرج من حيث إنه هو المقصود منهنّ، ويقال لمنبع الماء: عَيْنٌ تشبيها بها لما فيها من الماء، ومن عَيْنِ الماء اشتقّ: ماء مَعِينٌ. أي: ظاهر للعيون، وعَيِّنٌ أي: سائل. قال تعالى: ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴾ [الإنسان: ١٨]، ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ [القمر: ١٢]. وعِنْتُ الرّجل: أصبت عَيْنَهُ، نحو: رأسته وفأدته، وعِنْتُهُ: أصبته بعيني نحو سفته: أصبته بسيفي، وذلك أنه يجعل تارة من الجارحة المضروبة نحو: رأسته وفأدته"[٦٤].

وقد جاء لفظ العين في كتاب الله على تسعة أوجه ذكرها أصحاب كتاب الوجوه والنظائر وهي بمجموعها كالتالي:

الوجه الأول: العين الباصرة[٦٥]، قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ﴾ [الأعراف: ١٩٥]، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴾ [البلد: ٨]. الوجه الثاني: منبع الماء الجاري[٦٦]، قال تعالى: ﴿ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾[البقرة: ٦٠].

---

(٦٤) المفردات في غريب القرآن بتصرف (ص ٥٩٨).

(٦٥) وعبّر عنه الحيري بـ: العين بالعين، والدامغاني بـ: الجارحة.

(٦٦) وعبّر عنه الدامغاني بـ: النهر.

الوجه الثالث: الحفظ، قال تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤].

الوجه الرابع: المنظر، قال تعالى: ﴿فَأْتُوا بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنبياء: ٦١].

الوجه الخامس: القلب، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي﴾ [الكهف: ١٠١].

الوجه السادس: شراب أهل الجنة، قال تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦]، وقال تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٨].

الوجه السابع: النفس، قال تعالى: ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ مريم: ٢٦.

الوجه الثامن: أعين القلوب، قال تعالى: ﴿بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [يس: ٦٦].

الوجه التاسع: النظر والرؤية[٦٧]، قال تعالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨][٦٨][٦٩].

وأما الفرق بين العين والبصر ؛ فقد قال أبو هلال العسكري: "الفرق بين العين والبصر: أن العين آلة البصر وهي الحدقة، والبصر اسم للرؤية ولهذا يقال إحدى عينيه عمياء ولا يقال أحد بصريه أعمى، وربما يجري البصر على العين الصحيحة مجازا ولا

---

(٦٧) وفي الآيات إثبات العين صفة ذاتية لله تعالى، وللجمع بين النصوص الواردة بالإفراد والجمع ينظر تفسير سورة يس لابن عثيمين (ص٢٦٩).

(٦٨) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي (ص٤٤٣-٤٤٤)، الوجوه والنظائر للدامغاني (٨٣/٢-٨٤)، وجوه القرآن الكريم للحيري (ص٢٣٥)، الوجوه والنظائر للعسكري (ص٣٥٦).

(٦٩) موسوعة الوجوه والنظائر في القرآن الكريم إعداد د أحمد بن محمد البريدي ود فهد بن إبراهيم الضالع (٩٥٥/٣).

يجري على العين العمياء فيدلل هذا على أنه اسم للرؤية على ما ذكرنا، ويسمى العلم بالشئ إذا كان جلياً بصراً، يقال لك فيه بصر يراد أنك تعلمه كما يراه غيرك"[٧٠].

المطلب الأول: قـــرار العيـــن

معنى قرار العين في اللغة:

قرار العين يعني سرورها وبردها ورضاها، فلم تتطلع إلى غير ما هي عليه من نعمة وراحة واستقرار ؛ قال ابن دريد: "وقرة الْعين: مَا قرت بِهِ عَيْنك من شَيْء تسر بِهِ. وَكَانَ بعض أهل اللُّغَة يَقُول: قرت عينه بالسرور كَمَا تسخن بالحزن كَأَنَّهَا بردت وجف دمعها"[٧١]. وقال ابن القطاع: "قرر: و"قرَّ" بالمكان يَقِرّ ويقَرّ قَرّاراً والعين مثله قُرةً وقُرورا بَردَت سُرورا"[٧٢].

واشتقاقه مختَلف فيه فإن كان من القر فهو البرد، وإن كان من القرار فهو السكينة والاستقرار، وكلاهما مستقيم هنا ؛ قال الزبيدي: "واخْتَلَفُوا فِي اشْتِقَاق ذلِك: قَالَ بعضُهُمْ: مَعْنَاهُ بَرَدَتْ وانْقَطَع بُكَاؤُهَا واسْتِحرارُهَا بالدَّمْع، إِن للسُّرور دَمْعَةً بارِدَةً، وللحُزْنِ دَمْعَةً حَارَّةً. أَو قَرَّتْ: من القَرَارِ، أَي رَأَتْ مَا كَانَتْ مُتَشَوِّفةً إِليه فقَرَّتْ ونَامَتْ "[٧٣]. وقال ابن فارس: "وقال قوم: أقر الله عينه، (أي): أعطاه فتقر عينه، فلا تطمح إلى من هو فوقه "[٧٤].

---

(٧٠) الفروق اللغوية (ص: ٣٨١).

(٧١) جمهرة اللغة (قرّ،١/١٢٥).

(٧٢) كتاب الأفعال (٣ / ٤٧).

(٧٣) تاج العروس للزبيدي (قرّ،١٣/٣٨٨).

(٧٤) مجمل اللغة (قر،١/٧٢٧).

معنى قرار العين من خلال آياته:

المتأمل في جميع الآيات يلاحظ أن قرار العين فيها هو جميع ما يدل على راحة ونعيم واستقرار نفس صاحب هذه العين المنعمة بنعمة القرار. ثم بعد ذلك اختلفت تعبيرات المفسرين من السلف والتابعين لهم بإحسان على آيات قرار العين بحسب سياقات الآيات ومسببات القرار في كل سياق:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ [مريم].

قال ابن جرير: "يقول: وطيبي نفساً وافرحي بولادتك إياي ولا تحزني ونصبت العين؛ لأنها هي الموصوفة بالقرار. وإنما معنى الكلام: ولتقرِر عينك بولدك"(٧٥).

وقال البغوي: "وقري عيناً، أي: طيبي نفساً، وقيل: قري عينك بولدك عيسى. يقال: أقر الله عينك يعني صادف فؤادك ما يرضيك، فتقر عينك من النظر إليه [٣]. وقيل: أقر الله عينه يعني أنامها، يقال: قر يقر إذا سكن. وقيل: إن العين إذا بكت من السرور فالدمع بارد، وإذا بكت من الحزن فالدمع يكون حارًا، فمن هذا قيل: أقر الله عينه وأسخن الله عينه"(٧٦). وقال الطاهر ابن عاشور: "وقرة العين: كناية عن السرور بطريق المضادة، لقولهم: سخنت عينه إذا كثر بكاؤه، فالكناية بضد ذلك عن السرور كناية بأربع مراتب. وتقدم في قوله تعالى: وقالت امرأت فرعون قرت

(٧٥) جامع البيان (١٨/ ١٨٢).

(٧٦) تفسير البغوي (٣/ ٢٣٠).

عين لي ولك [القصص: ٩]، وقرة العين تشمل هناء العيش وتشمل الأنس بالطفل المولود. وفي كونه قرة عين كناية عن ضمان سلامته ونباهة شأنه"(٧٧).

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [طه]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ الفرقان: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [القصص]، وقال تعالى: ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [القصص].

كلها في قرار العين المتعلق بالولد وراحة نفس والدته بسلامته أو صلاحه، ومن ذلك قول أبي جعفر الطبري عن آية طه: "فرددناك إلى أمك بعد ما صرت في أيدي آل فرعون، كيما تقرّ عينها بسلامتك ونجاتك من القتل والغرق في اليم، وكي لا تحزن عليك من الخوف من فرعون عليك أن يقتلك"(٧٨).

وقال الزمخشري عن آية الفرقان: "وقرة أعين، وقرّات أعين. سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجاً وأعقاباً عمالاً لله، يسرون بمكانهم وتقرّبهم عيونهم. وعن محمد بن كعب: ليس شيء أقرّ لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله. وعن ابن عباس رضى الله عنهما: هو الولد إذا رآه يكتب الفقه. وقيل: سألوا أن يلحق الله بهم أزواجهم وذريتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم"(٧٩).

---

(٧٧) التحرير والتنوير (١٦/ ٨٩).

(٧٨) جامع البيان (١٨/ ٣٠٥).

(٧٩) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٢٩٦).

وأما ابن كثير فقد أورد تعبيرات السلف عن معنى قرة العين في الفرقان، فقال: "يعني: الذين يسألون الله أن يخرج من أصلابهم وذرياتهم من يطيعه ويعبده وحده لا شريك له. قال ابن عباس: يعنون من يعمل بالطاعة، فتقر به أعينهم في الدنيا والآخرة. وقال عكرمة: لم يريدوا بذلك صباحة ولا جمالاً ولكن أرادوا أن يكونوا مطيعين. وقال الحسن البصري -وسئل عن هذه الآية -فقال: أن يري الله العبد المسلم من زوجته، ومن أخيه، ومن حميمه طاعة الله. لا والله ما شيء أقر لعين المسلم من أن يرى ولدًا، أو ولد ولد، أو أخًا، أو حميمًا مطيعًا لله عز وجل. وقال ابن جريج في قوله: **{هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين}**، قال: يعبدونك ويحسنون عبادتك، ولا يجرون علينا الجرائر. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني: يسألون الله لأزواجهم وذرياتهم أن يهديهم للإسلام"(٨٠).

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة].

كثرت أقوال المفسرين رحمهم في تفسير قرة العين هنا حيث أخفى الله تعالى كنه هذا الموعود لعباده في الجنة الذين اتصفوا بتجافي جنوبهم عن المضاجع واختلفت تعبيراتهم وسأورد هنا شيئا من ألفاظهم بتقريب المراد مما أخفي عن الموعودين مما تقر به عيونهم في الجنة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَالَ اللَّهُ «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ»(٨١).

(٨٠) تفسير ابن كثير (٦/ ١٣٢).

(٨١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، (باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ١١٨/٤،برقم٣٢٤٤).

وصرح البقاعي بعلاقة السهر بالدنيا على العين لأجل الله تعالى والقيام بين يديه بقرارها وراحتها في الآخرة فقال: "ولما كانت العين لا تقر فتهجع إلا عند الأمن والسرور قال: ﴿مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ أي من شيء نفيس سارّ تقر به أعينهم لأجل ما أقلعوها عن قرارها بالنوم"(٨٢).

الموضع الرابع: قال تعالى: ﴿۞ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾ [الأحزاب].

وفي هذا الموضع جاء سبب قرار العين للنفس المنعمة هو العلم والرضى والتسليم بأمر الله تعالى وقضائه فقال السمعاني: "مَعْنَاهُ: أَنَّهُنَّ إِذا علِمْنَ أَن هَذَا مِمَّا أنزل الله تَعَالَى كَانَ أطيب لأنفسهن، وَأَقل لحزنهن، وَأقرب إِلَى رضاهن"(٨٣).

نتيجة الدراسة:

أن مجيء القرار مقرونًا بالعين، يفيد راحة وطمأنينة ورضى ونعيمًا لصاحب العين، مهما اختلفت أسباب ذلك القرار، وهو معنى خارج عن مجرد الإبصار، الذي هو صفة لازمة للعين، وجميع الآيات الواردة في هذا دالة على تلك النتيجة.

المطلب الثاني: لـــذة العيـــــن

معنى اللذة في اللغة:

قال في المصباح: " (ل ذ ذ): لَذَّ الشَّيْءُ يَلَذُّ مِنْ بَابِ تَعِبَ لَذَاذًا وَلَذَاذَةً بِالْفَتْحِ صَارَ شَهِيًّا فَهُوَ لَذٌّ وَلَذِيذٌ وَلَذِذْتُهُ أَلَذُّهُ وَجَدْتُهُ كَذَلِكَ يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى

(٨٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٥/ ٢٥٧).

(٨٣) تفسير السمعاني (٤/ ٢٩٨).

وَالْتَذَذْتُ بِهِ وَتَلَذَّذْتُ بِمَعْنًى وَاسْتَلْذَذْتُهُ عَدَدْتُهُ لَذِيذًا وَاللَّذَّةُ الِاسْمُ وَالْجَمْعُ لَذَّاتٌ"(٨٤).

وقال الزمخشري: " ل ذ ذ لذّ الشيء لذةً ولذاذةً، والتذ التذاذاً، وشيء لذٌ ولذيذ. وهو في لذّ من العيش، وله عيش لذّ"(٨٥).

والعين تلتذ بالمنظور الحسن؛ قال الكرماني: " "وتلذ الأعين"، ما التذته العين"(٨٦)، كما أنها طريق للذة النفس؛ قال ابن عرفة: " "وتلذ الأعين" لأنها طريق إلى لذة النفس، لأن النفس لَا لذة لها بدون العين بدليل الأعين"(٨٧).

ويتبين صحة لذاذة العين وأنها طريق إلى لذة النفس وأما نفي حصر لذة النفس على مايرد عليها من العين فهذا يرده التلذذ بالحديث والطعام والمنكح وغيرهما مما هو ليس مرتبطا بالعين.

معنى لذة العين في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الزخرف].

قال الواحدي: "قوله تعالى: ﴿ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ ﴾ قال الكسائي: يقال للشيء: يلذ بالكسر لَذَاذًا ولذاذة بفتح اللام فيهما، فإذا كنت أنت الفاعل كان فعلت منه مكسورًا، ويفعل مفتوحًا، تقول: لَذِذْتُ الشيء أَلَذُّه، مثل استلْذَذته. قال مقاتل: وفيها ما تشتهي الأنفس من شيء وتلذ الأعين، أنه ما من شيء تشتهيه نفس أو استلذته عين إلا وهو في الجنة، وقد عبر الله بهذين اللفظين عن جميع نعيم أهل الجنة،

(٨٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٥٥٢).

(٨٥) أساس البلاغة (٢/ ١٦٥).

(٨٦) غرائب التفسير وعجائب التأويل (٢/ ١٠٦٧).

(٨٧) تفسير ابن عرفة (٤/ ٩).

فإنه ما من نعمة إلا وهي تصيب النفس أو العين يستحسن بالعين أو يستطاب بالنفس"(٨٨).

ومما لاشك فيه أن أعلا مراتب لذة العين هو النظر إلى وجه الله تعالى؛ قال سعيد بن جبير: "وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ" النَّظَرُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا فِي الْخَبَرِ "أَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ"(٨٩).

ورتب لذة العيون في الآخرة البقاعي فقال:" قال تعالى: ﴿ مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ ﴾ من الأشياء المعقولة والمسموعة والملموسة وغيرها جزاء لهم على ما منعوا أنفسهم من الشهوات في الدنيا، ولما كان ما يخص المبصرات من ذلك أعظم، خصها فقال: ﴿ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾ من الأشياء المبصرة التي أعلاها النظر إلى وجهه الكريم تعالى، جزاء ما تحملوه من مشاق الاشتياق"(٩٠).

وفرق بين شهوة النفس ولذة العين وجعل لكل منهما استقلالًا ابن عاشور، فقال: "وتلذ مضارع لذ بوزن علم: إذا أحس لذة، وحق فعله أن يكون قاصرًا فيعدى إلى الشيء

---

(٨٨) التفسير البسيط (٢٠/ ٧٦).

(٨٩) هذا جزء من حديث عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: صَلَّى بِنَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ صَلَاةً، فَأَوْجَزَ فِيهَا، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ: لَقَدْ خَفَّفْتَ أَوْ أَوْجَزْتَ الصَّلَاةَ، فَقَالَ: أَمَّا عَلَى ذَلِكَ، فَقَدْ دَعَوْتُ فِيهَا بِدَعَوَاتٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا قَامَ تَبِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ هُوَ أُبَيٌّ غَيْرَ أَنَّهُ كَنَى عَنْ نَفْسِهِ، فَسَأَلَهُ عَنِ الدُّعَاءِ، ثُمَّ جَاءَ فَأَخْبَرَ بِهِ الْقَوْمَ: «اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ». أخرجه النسائي (٣/ ٥٤)، وابن حبان، صحيح ابن حبان (٥/ ٣٠٥) والدارمي، الرد على الجهمية للدارمي (ص: ١٢٠) تفسير القرطبي (١٦/ ١١٤) وقال الألباني: إسنادة صحيح تخريج الكلم الطيب (ص: ١٠٩)

(٩٠) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٧/ ٤٧٩).

الذي به اللذة بالباء فيقال: لذ به، وكثر حذف الباء وإيصال الفعل إلى المجرور بنفسه فينتصب على نزع الخافض، وكثر ذلك في الكلام حتى صار الفعل بمنزلة المتعدي فقالوا: لذه. ومنه قوله هنا: وتلذ الأعين التقدير، وتلذه الأعين. والضمير المحذوف هو رابط الصلة بالموصول. ولذة الأعين في رؤية الأشكال الحسنة والألوان التي تنشرح لها النفس، فلذة الأعين وسيلة للذة النفوس، فعطف وتلذ الأعين على ما تشتهيه الأنفس عطف ما بينه وبين المعطوف عليه عموم وخصوص، فقد تشتهي الأنفس ما لا تراه الأعين، كالمحادثة مع الأصحاب وسماع الأصوات الحسنة والموسيقى(٩١).

. وقد تبصر الأعين ما لم تسبق للنفس شهوة رؤيته، أو ما اشتهت النفس طعمه أو سمعه، فيؤتى به في صور جميلة إكمالًا للنعمة(٩٢).

نتيجة الدراسة:

إثبات صفة اللذة للعين سواء كانت مستقلة بالمنظور السار فتهنأ وتستقر، أو كانت طريقًا لما تشتهيه النفس؛ لأن أسمى ما تشتهيه النفوس هو ذلك الوارد عليها من جهة العين، وأعلاه من نعيم الآخرة لذة النظر إلى وجه الله تعالى.

المطلب الثالث: مـــد العيـــون

معنى المد في اللغة:

قال الراغب الأصفهاني: "أصل المَدّ: الجرّ، ومنه: المُدّة للوقت الممتدّ، ومِدَّةُ الجرح، ومَدَّ النّهرُ، ومَدَّهُ نهرٌ آخر، ومَدَدْتُ عيني إلى كذا. قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ الآية [طه: ١٣١]، ومَدَدْتُهُ في غيّه، ومَدَدْتُ الإبلَ: سقيتها المَدِيدَ،

(٩١) الموسيقى: تذكر وتؤنث، لفظ يوناني يُطلق على فنون العزف على آلات الطَّرب، و(علم الموسيقى) علم يبْحَث فِيهِ عَن أصُول النغم من حَيْثُ تأتلف أَو تتنافر وأحوال الْأَزْمِنَة المتخللة بَينهَا ليعلم كَيفَ يؤلف اللّحن. المعجم الوسيط (٢/ ٨٩١).

(٩٢) التحرير والتنوير (٢٥/ ٢٥٥).

وهو بزر ودقيق يخلطان بماء، وأَمْدَدْتُ الجيشَ بِمَدَدٍ، والإنسانَ بطعامٍ. قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ [الفرقان: ٤٥]"(٩٣).

وقال السمين الحلبي: "قال تعالى: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾ [الحجر: ٨٨]، كناية عن التطلع لما في أيديهم من زخارف الدنيا، وتقليب التجارات والأولاد وغير ذلك، والمراد أمته عليه الصلاة والسلام عبر بالإعراض عن زينة الدنيا المنهي عنها عن مد الطرف إليها، فإن من أعجبه شيء أتبعه نظره"(٩٤).

ومن خلال عبارة السمين الحلبي تحديدًا يتبين أن البصر إذا خرج عن اللحظ السريع والنظر المجرد إلى التأمل في الشيء ومواصلة تقليب البصر فيه، فكأن النظر يمد بعضه بعضًا حتى يفيد زيادة الاهتمام بالشيء المنظور.

آيات مد العيون في القرآن:

وهما قول الله تعالى: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الحجر]، وقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ [طه].

وقد توافرت أقوال المفسرين على أن المقصود في الآيتين كما قال الطبري: "تتمنينّ يا محمد ما جعلنا من زينة هذه الدنيا متاعاً للأغنياء من قومك، الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، يتمتعون فيها، فإن مِنْ ورائهم عذابًا غليظًا"(٩٥).

وقال الطاهر: "والمد: أصله الزيادة. وأطلق على بسط الجسم وتطويله. يقال: مد يده إلى كذا، ومد رجله في الأرض. ثم استعير للزيادة من شيء. ومنه مدد الجيش،

---

(٩٣) المفردات في غريب القرآن (ص: ٧٦٣).

(٩٤) عمدة الحفاظ (٤/ ٩٠).

(٩٥) جامع البيان (١٧/ ١٤١).

ومد البحر، والمد في العمر. وتلك إطلاقات شائعة صارت حقيقة. واستعير المد هنا إلى التحديق بالنظر والطموح به تشبيهاً له بمد اليد للمتناول ؛ لأن المنهي عنه نظر الإعجاب مما هم فيه من حسن الحال في رفاهية عيشهم مع كفرهم، أي فإن ما أوتيته أعظم من ذلك فلو كانوا بمحل العناية لاتبعوا ما آتيناك ولكنهم رضوا بالمتاع العاجل فليسوا ممن يعجب حالهم."[٩٦].

وحيث إن الممدود البصر هنا والمعبر عنه في الآية العين فقد قال عبد السلام بن أحمد الراغب: " قد يقترن تصوير المعنى الذهني بالحالة أو الهيئة المصاحبة له كقوله تعالى: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الحجر: ٨٨]، والصورة المرسومة هنا ترسم الهيئة المصاحبة للاهتمام بالمتاع الزائل على سبيل المبالغة، لأن العين لا تمتد، وإنما يمتد البصر، ولكنّ الصورة جعلت العين نفسها هي الممدودة، زيادة في التخييل الحسي، والتصوير النفسي، لحالة الاهتمام الزائد على المألوف في المتاع الزائل، والغرض من المبالغة في هذا التصوير هو حثّ الرسول صلى الله عليه وسلم على ألا يحفل به، ولا يلتفت إليه[٩٧].

نتيجة الدراسة:

وهي مجيء العين التي هي جارحة البصر، خارجة عن الإبصار المجرد ؛ لإفادة معنى آخر تدل عليها حركتها من خلال إجالة النظر وإطالته وشدة التأمل فيه، على سبيل الرغبة والتمني من متاع الدنيا، وأن هذا مما نهي عنه صلى الله عليه وسلم وأمته، وأن ما عند الله خير وأبقى.

---

(٩٦) التحرير والتنوير (١٤/ ٨٢).

(٩٧) وظيفة الصورة الفنية في القرآن (ص: ١٤٥).

المطلب الرابع: تعديـــة العيـــون

معنى التعدية في اللغة.

قال ابن فارس: "عَدَوَ: الْعَيْنُ وَالدَّالُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَرْجِعُ إِلَيْهِ الْفُرُوعُ كُلُّهَا، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى تَجَاوُزٍ فِي الشَّيْءِ وَتَقَدُّمٍ لِمَا يَنْبَغِي أَنْ يُقْتَصَرَ عَلَيْهِ. مِنْ ذَلِكَ الْعَدْوُ، وَهُوَ الْحُضْرُ. تَقُولُ: عَدَا يَعْدُو عَدْوًا، وَهُوَ عَادٍ. قَالَ الْخَلِيلُ: وَالْعُدُوُّ مَضْمُومٌ مُثَقَّلٌ، وَهُمَا لُغَتَانِ: إِحْدَاهُمَا عَدْوٌ كَقَوْلِكَ غَزْوٌ، وَالْأُخْرَى عُدُوٌّ كَقَوْلِكَ حُضُورٌ وَقُعُودٌ. قَالَ الْخَلِيلُ: التَّعَدِّي: تَجَاوُزُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُقْتَصَرَ عَلَيْهِ"(٩٨).

وقال الراغب: "العَدُوُّ: التّجاوز ومنافاة الالتئام، فتارة يعتبر بالقلب، فيقال له: العَدَاوَةُ والمُعَادَاةُ، وتارة بالمشي، فيقال له: العَدْوُ، وتارة في الإخلال بالعدالة في المعاملة، فيقال له: العُدْوَانُ والعَدْوُ. قال تعالى: ﴿ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، وتارة بأجزاء المقرّ، فيقال له: العَدْوَاءُ. يقال: مكان ذو عَدْوَاءَ، أي: غير متلائم الأجزاء. فمن المُعَادَاةِ يقال: رجلٌ عَدُوٌّ، وقومٌ عَدُوٌّ. قال تعالى: ﴿ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ ﴾ [طه: ١٢٣]، وقد يجمع على عِدًى وأَعْدَاءٍ. قال تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ ﴾ [فصلت: ١٩]..."(٩٩).

وقال السمين الحلبي: "﴿ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ ﴾ [الكهف: ٢٨]، أي لا تتجاوز وهو في اللفظ نهي عن العين وفي المعنى لصاحبها وهذا تأدب لأمته"(١٠٠).

وحيث ذكر الراغب أن التجاوز يكون بالقلب وبالمشي وبالإخلال بالعدالة وبأجزاء المقر ولم يتعرض لموضع الآية في هذا المبحث بينما ذكرها السمين الحلبي ولعله

---

(٩٨) مقاييس اللغة (عدو، ٤/ ٢٤٩).

(٩٩) المفردات في غريب القرآن (ص: ٥٥٣).

(١٠٠) عمدة الحفاظ (٣/٥٢).

بهذا يصح أن يكون من التجاوز أيضاً التجاوز بالعين ؛ لأن إطلاق العين إلى أحد دون آخر دليل على الاهتمام به والإصغاء إليه والعناية بما يقول أو يسمع فتجاوز غيره إليه يدخل بهذا في تقسيم الراغب.

معنى تعدية العيون في كتاب الله.

قال تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ ﴾ [الكهف].

قال أبو عبيدة: "﴿ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ ﴾ لا تجاوز عيناك، ويقال: ما عدوت ذلك أي ما جاوزته"[١٠١]. وقال الطبري: "قوله: ﴿ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ ﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم: ولا تصرف عيناك عن هؤلاء الذين أمرتك يا محمد أن تصبر نفسك معهم إلى غيرهم من الكفار، ولا تجاوزهم إليه"..ثم ذكر نحو هذا عن ابن عباس وابن زيد"[١٠٢]. وقال ابن قتيبة: "﴿ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ ﴾ أي لا تتجاوزهم إلى زينة الحياة الدنيا"[١٠٣].

قال الطاهر ابن عاشور: "ظاهر ﴿ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ ﴾ ولا تعد عيناك عنهم نهي العينين عن أن تعدوا عن الذين يدعون ربهم، أي أن تجاوزاهم، أي تبعدا عنهم. والمقصود: الإعراض، ولذلك ضمن فعل العدو معنى الإعراض، فعدي إلى المفعول

(١٠١) مجاز القرآن (١/ ٣٩٨).

(١٠٢) جامع البيان (١٨/ ٦).

(١٠٣) غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٦٦).

ب (عن) وكان حقه أن يتعدى إليه بنفسه يقال: عداه، إذا جاوزه. ومعنى نهي العينين نهي صاحبهما، فيؤول إلى معنى: ولا تعدي عينيك عنهم.وهو إيجاز بديع"[١٠٤].

نتيجة الدراسة:

في قوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ ﴾ [الكهف].

دليل على أن حركة العينين برمي البصر لها معنى بين الحق والتجاوز ففي هذا الموضع نهى الله سبحانه وتعالى نبيه أن تتجاهل عينه المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي لتتركهم وتتجاوزهم لتقع على الكافرين مهتمة متأملة مصغية محاورة.. وبهذا يتبين أن حركة العين تخرج عن مجرد النظر إلى العناية والاهتمام بأحد دون أحد.

المطلب الخامس: دوران الأعيـــــن

معنى الدوران في اللغة.

(دَوَرَ) الدَّالُ وَالْوَاوُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى إِحْدَاقِ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ مِنْ حَوَالَيْهِ. يُقَالُ دَارَ يَدُورُ دَوَرَانًا. وَالدَّوَّارِيُّ: الدَّهْرُ؛ لِأَنَّهُ يَدُورُ بِالنَّاسِ أَحْوَالًا.. وَالدُّوَارُ، مُثَقَّلٌ وَمُخَفَّفٌ: حَجَرٌ كَانَ يُؤْخَذُ مِنَ الْحَرَمِ إِلَى نَاحِيَةٍ وَيُطَافُ بِهِ، وَيَقُولُونَ: هُوَ مِنْ حِوَارِ الْكَعْبَةِ الَّتِي يُطَافُ بِهَا"[١٠٥].

وقال الراغب: "الدَّار: المنزل اعتباراً بدورانها الذي لها بالحائط، وقيل: دارة، وجمعها ديار، ثم تسمّى البلدة داراً، والصّقع داراً، والدّنيا كما هي داراً، والدّار الدّنيا، والدّار الآخرة، إشارة إلى المقرّين في النّشأة الأولى، والنّشأة الأخرى. وقيل: دار الدّنيا،

(١٠٤) التحرير والتنوير (١٥/ ٣٠٥).

(١٠٥) مقاييس اللغة (٢/ ٣١٠).

ودار الآخرة، قال تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢٧]، والدّورة والدّائرة في المكروه، كما يقال: دولة في المحبوب، وقوله تعالى: ﴿نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢]، والدّوّار: صنم كانوا يطوفون حوله. والدّاريّ: المنسوب إلى الدّار"[١٠٦].

وقال الجمل: "دار يدور دوراً ودوراناً: تحول وجال مع التفات. تدور: ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩]"[١٠٧].

ولم يعرض الراغب ولا السمين للآية هنا؛ ويظهر مما تقدم أن الدوران مضافاً للأعين سببه شدة الخور والخوف فهي تدور في كل اتجاه.

معنى دوران العيون في كتاب الله:

قال تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الأحزاب].

اتفق المفسرون من السلف ومن بعدهم على أن دوران العيون هنا سببه الخوف الشديد وفرَق قلوب المنافقين يوم الأحزاب كما هو عن قتادة وغيره من السلف[١٠٨]. ثم اختلفت عبارات المفسرين في معنى دوران العيون على تقارب بينها؛ فقال القرطبي: " وصفهم بالجبن، وكذا سبيل الجبان ينظر يميناً وشمالاً محدداً بصره، وربما غشي عليه. وفي" الخوف" وجهان: أحدهما: من قتال العدو إذا أقبل، قاله السدي. الثاني: الخوف من النبي صلى الله عليه وسلم إذا غلب، قاله ابن شجرة." رأيتهم ينظرون إليك" خوفاً من القتال على القول الأول. ومن النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١٠٦) المفردات في غريب القرآن (ص: ٣٢١).

(١٠٧) معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن (٢/ ١٢٣).

(١٠٨)جامع البيان (٢٠/ ٢٣٢)، تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٢١).

على الثاني." تدور أعينهم" لذهاب عقولهم حتى لا يصح منهم النظر إلى جهة. وقيل: لشدة خوفهم حذراً أن يأتيهم القتل من كل جهة "[١٠٩].

وقال الطاهر: " معنى تدور أعينهم أنها تضطرب في أجفانها كحركة الجسم الدائرة من سرعة تنقلها محملقة إلى الجهات المحيطة. وشبه نظرهم بنظر الذي يغشى عليه بسبب النزع عند الموت فإن عينيه تضطربان. "[١١٠].

فترى كيف بين طبيعة دوران العيون حين يأخذها الخوف؛ لأنها لا تدري من أي جهة يأتيها المخوف وكيف بين وجه الشبه بين الخائف والذي يغشى عليه من الموت بجامع الاضطراب والقلق وعدم الاستقرار في كليهما.

نتيجة الدراسة:

حيث جاءت العيون في كلام الله تعالى دالة على حالة تعتري الإنسان أثناء خوفه وجبنه؛ حيث تدور عيناه في جميع الاتجاهات قلقة مضطربة.

المطلب السادس: ازدراء الأعيـــــن

معنى الإزدراء في اللغة.

قال ابن فارس: "الزَّاءُ وَالرَّاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ يَدُلُّ عَلَى احْتِقَارِ الشَّيْءِ وَالتَّهَاوُنِ بِهِ. يُقَالُ زَرَيْتُ عَلَيْهِ، إِذَا عِبْتَ عَلَيْهِ. وَأَزْرَيْتُ بِهِ: قَصَّرْتَ بِهِ"[١١١]، وقال الراغب: "زَرَيْتُ عليه: عبته، وأَزْرَيْتُ به: قصّرت به، وكذلك ازْدَرَيْتُ، وأصله: افتعلت قال: ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ﴾ [هود: ٣١]، أي: تستقلّهم، تقديره:

(١٠٩) تفسير القرطبي (١٤/ ١٥٣).

(١١٠) التحرير والتنوير (٢١/ ٢٩٧).

(١١١) مقاييس اللغة (زرى،٣/ ٥٢).

تَزْدَرِيهِمْ أعينكم، أي: تستقلّهم وتستهين بهم"[١١٢]. والمراد أن العيون تنظر نظرة تنم عن احتقار واستقلال واستهانة.

معنى ازدراء العيون في كتاب الله.

قال تعالى: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [هود].

نقل الواحدي في البسيط عن ابن عباس: " تحتقر وتستصغر"[١١٣].

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد أنه قال: " حقرتموهم "[١١٤].

وبيّن إفادة الإزدراء من خلال العين بعد بيان المراد في الآية الطاهر فقال: "وَلَمَّا أَرَادَ إِبْطَالَ قَوْلِهِمْ: ﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ﴾ [هود: ٢٧] أَبْطَلَهُ بِطَرِيقَةِ التَّعْلِيلِ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا ضَعْفَهُمْ وَفَقْرَهُمْ سَبَبًا لِانْتِفَاءِ فَضْلِهِمْ، فَأَبْطَلَهُ بِأَنَّ ضَعْفَهُمْ لَيْسَ بِحَائِلٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْخَيْرِ مِنَ اللَّهِ إِذْ لَا ارْتِبَاطَ بَيْنَ الضَّعْفِ فِي الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ مِنْ فَقْرٍ وَقِلَّةٍ وَبَيْنَ الْحِرْمَانِ مَنْ نَوَالِ الْكِمَالَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ، وَأَعَادَ مَعَهُ فِعْلَ الْقَوْلِ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ مِنَ الْقَوْلِ مَعْنًى غَيْرَ الْمُرَادِ مِنْهُ فِيمَا قِيلَ، فَالْقَوْلُ هُنَا كِنَايَةٌ عَنِ الِاعْتِقَادِ لِأَنَّ الْمَرْءَ إِنَّمَا يَقُولُ مَا يَعْتَقِدُ، وَهِيَ تَعْرِيضِيَّةٌ بالمخاطبين؛ لأنهم يضمون ذَلِكَ وَيُقَدِّرُونَهُ.

وَالِازْدِرَاءُ: افْتِعَالٌ مِنَ الزَّرْيِ وَهُوَ الِاحْتِقَارُ وَإِلْصَاقُ الْعَيْبِ، فَأَصْلُهُ: ازْتِرَاءٌ، قُلِبَتْ تَاءُ الِافْتِعَالِ دَالًا بَعْدَ الزَّايِ كَمَا قُلِبَتْ فِي الِازْدِيَادِ. وَإِسْنَادُ الِازْدِرَاءِ إِلَى الْأَعْيُنِ،

(١١٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٣٧٩).

(١١٣) التفسير البسيط (١١/ ٤٠٦).

(١١٤) تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٢٣).

وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ أَفْعَالِ النَّفْسِ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ ؛ لِأَنَّ الْأَعْيُنَ سَبَبُ الِازْدِرَاءِ غَالِبًا ؛ لِأَنَّ الِازْدِرَاءَ يَنْشَأُ عَنْ مُشَاهَدَةِ الصِّفَاتِ الْحَقِيرَةِ عِنْدَ النَّاظِرِ"(١١٥).

نتيجة الدراسة:

أن مما تفيده حركة العين زيادة على مجرد النظر، نظر التعالي والاحتقار والاستقلال والاستقذار والاستهانة للآخرين.

المطلب السابع: خائنـــة الأعيـــن

معنى الخيانة في اللغة:

قال الخليل: "خون: خُنْتُ مَخانةً وخَوْناً، وذلك في الوُدِّ والنصح. وتقول: خانَه الدهر والنعيم خَوْناً وهو تغير حاله إلى شر منها. وخانَني فلانٌ خِيانةً. الخَونُ في النظر فتره، ومن ذلك يقال للأسد: خائِنُ العين. وخائِنةُ العين: ما تُخونُ من مُسارقة النظر أي: تنظر إلى ما لا يحل"(١١٦).

قال الراغب: "خون الخِيَانَة والنّفاق واحد، إلا أنّ الخيانة تقال اعتباراً بالعهد والأمانة، والنّفاق يقال اعتباراً بالدّين، ثم يتداخلان، فالخيانة: مخالفة الحقّ بنقض العهد في السّرّ. ونقيض الخيانة: الأمانة، يقال: خُنْتُ فلاناً، وخنت أمانة فلان، وعلى ذلك قوله: ﴿ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ [التحريم: ١٠]، وقوله: ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ ﴾ [المائدة: ١٣]، أي: على جماعة خائنة منهم. وقيل: على رجل خائن، يقال: رجل

(١١٥) التحرير والتنوير (١٢/ ٥٨)، وانظر في ذلك كذلك: غريب القرآن للسجستاني (ص:١٤٢)، معاني القرآن للنحاس (٣٤٤/٣)، ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن (ص: ٢٦٤)، مشكل إعراب القرآن لمكي (١/ ٣٦٠).

(١١٦) العين (خون، ٤/ ٣٠٩).

خائن، وخائنة، نحو: راوية، وداهية. وقيل: (خائنة) موضوعة موضع المصدر، نحو: قم قائماً، وقوله: ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ ﴾ [غافر: ١٩]، على ما تقدّم"(١١٧).

وبهذا يتضح أن للعين طريقة في المسارقة أو إلقاء النظرة يرسلها صاحبها ويفهم منها مراده من الخيانة والفساد.

معنى خائنة العين في كتاب الله.

قال تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ [غافر].

للسلف في تفسير خيانة الأعين هنا طريقتان:

الطريقة الأولى: أن تكون العين باقية على حركتها الطبيعية وخيانتها في توقيت إرسال البصر ومسارقته النظر، مراعيًا مراقبة الناس، فمخاتلة الناس إلى نظرة العورات خيانة، كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ، عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ: "يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ" قَالَ: "الرَّجُلُ يَكُونُ فِي الْقَوْمِ فَتَمُرُّ بِهِمُ المرأة فَيُرِيهِمْ أَنَّهُ يَغُضُّ بَصَرَهُ، عَنْهَا وَإِذَا غَفِلُوا لَحَظَ إِلَيْهَا وَإِذَا نَظَرُوا غَضَّ بَصَرَهُ، عَنْهَا، وَقَدِ اطَّلَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ أَنَّهُ وَدَّ أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى عَوْرَتِهَا"(١١٨).

الطريقة الثانية: أن تكون الخيانة في حركة العين وتعبيراتها من الهمز والإمالة وغيرها كما قال قتادة: قوله: ﴿ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ ﴾: أي يعلم همزه بعينه، وإغماضه فيما لا يحبّ الله ولا يرضاه"(١١٩).

وللمفسرين بعد ذلك تعبيرات لا تكاد تخرج عن هذين الطريقين.

---

(١١٧) المفردات في غريب القرآن (ص: ٣٠٥).

(١١٨) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٦٥).

(١١٩) جامع البيان (٢١/ ٣٧٠).

وممن نوّع حركة العين في الخيانة من باب التمثيل ابن عطية فقال: " والخائنة: مصدر كالخيانة، ويحتمل في الآية أن يكون خائِنَةَ اسم فاعل، كما تقول: ناظرة الأعين إذا خانت في نظرها. وهذه الآية عبارة عن علم الله تعالى بجميع الخفيات، فمن ذلك كسر الجفون والغمز بالعين أو النظرة التي تفهم معنى، أو يريد بها صاحبها معنى"(١٢٠).

نتيجة الدراسة:

ورود جارحة العين في كتاب الله لغير النظر المجرد إلى أجزاء من التعبيرات عميقة، لا يكاد يطلع عليها إلا الله تعالى لخفتها وخفيتها، ومن ذلك خيانة العين بمسارقة النظر أو بالغمز ونحوه.

المبحث الثالث: الدلالات المتعلقة بلفظ النظر

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

التمهيد: معنى النظر: قال ابن فارس: "(نَظَرَ) النُّونُ وَالظَّاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَرْجِعُ فُرُوعُهُ إِلَى مَعْنًى وَاحِدٍ وَهُوَ تَأَمُّلُ الشَّيْءِ وَمُعَايَنَتُهُ، ثُمَّ يُسْتَعَارُ وَيُتَّسَعُ فِيهِ. فَيُقَالُ: نَظَرْتُ إِلَى الشَّيْءِ أَنْظُرُ إِلَيْهِ، إِذَا عَايَنْتَهُ. وَحَيٌّ حِلَالٌ نَظَرٌ: مُتَجَاوِرُونَ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ. وَيَقُولُونَ: نَظَرْتُهُ، أَيِ انْتَظَرْتُهُ. وَهُوَ ذَلِكَ الْقِيَاسُ، كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْوَقْتِ الَّذِي يَأْتِي فِيهِ"(١٢١).

وربط الراغب في أول تناوله للنظر بالبصر والبصيرة كما تقدما فقال: " نظر النَّظَرُ: تَقْلِيبُ البَصَرِ والبصيرةِ لإدرَاكِ الشيءِ ورؤيَتِهِ، وقد يُرادُ به التَّأَمُّلُ والفَحْصُ،

(١٢٠) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٥٣).

(١٢١) مقاييس اللغة (نظر،٥/٤٤٤)، وانظر: العين (نظر،٨/١٥٤).

وقد يراد به المعرفةُ الحاصلةُ بعد الفَحْصِ، وهو الرَّوِيَّةُ.يقال: نَظَرْتَ فلم تَنْظُرْ. أي: لم تَتَأَمَّلْ ولم تَتَرَوَّ، وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [يونس: ١٠١] أي: تَأَمَّلُوا. واستعمال النَّظَرِ في البَصَرِ أكثرُ عند العامَّةِ، وفي البصيرةِ أكثرُ عند الخاصَّةِ، قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢] ويقال: نَظَرْتُ إلى كذا: إذا مَدَدْتَ طَرْفَكَ إليه رَأَيْتَهُ أو لم تَرَهُ، ونَظَرْتُ فِيهِ: إذا رَأَيْتَهُ وتَدَبَّرْتَهُ، قال: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧] نَظَرْتَ في كذا: تَأَمَّلْتَهُ.. والنَّظِيرُ: المَثِيلُ، وأصلُه المُنَاظِرُ، وكأنه يَنْظُرُ كلُّ واحدٍ منهما إلى صاحبِهِ فيُبَارِيهِ، والمُنَاظَرَةُ: المُبَاحَثَةُ والمُبَارَاةُ فِي النَّظَرِ، واسْتِحْضَارُ كلِّ ما يَرَاهُ بِبَصِيرَتِهِ، والنَّظَرُ: البَحْثُ، وهو أَعَمُّ مِنَ القِيَاسِ، لأنَّ كلَّ قياسٍ نَظَرٌ، ولَيْسَ كُلُّ نَظَرٍ قِيَاساً"[١٢٢].

وذكر أصحاب الوجوه والنظائر أن النظر يأتي في كتاب الله تعالى على سبعة وجوه هي:

"الوجه الأول: الرؤية والمشاهدة[١٢٣]، قال تعالى: ﴿ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وقال تعالى: ﴿ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقال تعالى: ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٩٨]، وقال تعالى: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٣].

الوجه الثاني: الانتظار، قال تعالى: ﴿ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا ﴾ [البقرة: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿ وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا ﴾ [النساء: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [النمل: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ [الحديد: ١٣]،

(١٢٢) المفردات في غريب القرآن بتصرف (ص: ٨١٢).

(١٢٣) وعبّر عنه العسكري بـ: النظر في العين.

وقال تعالى: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ [يس: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ [ص: ١٥].

الوجه الثالث: التفكر والاعتبار[١٢٤]، قال تعالى: ﴿ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ ﴾ [الأنعام: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [يونس: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴾ [عبس: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧]، وقال تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ [الطارق: ٥]، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ ﴾ [الحج: ١٥].

الوجه الرابع: الرحمة، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران: ٧٧].

الوجه الخامس: فَنَظِرَة بمعنى الإنظار[١٢٥]، قال تعالى: ﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الأعراف: ١٤]، وقال تعالى: ﴿ انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ [الحديد: ١٣]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الحجر: ٣٦، ص: ٧٩].

الوجه السادس: المقابلة، قال تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ﴾ [البقرة: ٢١٠].

---

(١٢٤) وعبّر عنه الحيري بـ: النظر بالقلب.

(١٢٥) وعبّر عنه العسكري بـ: الإهمال والتأخير.

الوجه السابع: النظر إلى الله، قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢ -٢٣][١٢٦][١٢٧].

وأما الفرق بين النظر والتأمل فقد قال أبو هلال: "الْفرق بَين النّظر والتأمل أَن النّظر هُوَ مَا ذكرْنَاهُ، والتأمل هُوَ النّظر المؤمل بِهِ معرفَة مَا يطْلب وَلَا يكون إِلَّا فِي طول مُدَّة فَكل تَأمل نظر وَلَيْسَ كل نظر تأملاً[١٢٨].

المطلب الأول: نظرة النبي إبراهيم عليه السلام في النجوم[١٢٩]

قال تعالى: ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الصافات].

اختلف المفسرون في المراد بالنظر إلى النجوم هنا أنها نظرة في علم التنجيم ليستدل بها على حلول سقمه أو هي في معرفة وقت عيدهم ليوهمهم أنه سقيم فلا يخرج معهم أم أن النجم هنا ليس نجم السماء وإنما هو نظر الفكر والتأمل ليخبرهم عن ما ينجم ويصدر عنه تأمله ورأيه.

وعلى اعتبار جميع الأقوال في الآية - إلا القول الثالث الصارف للنجم عن نجم السماء إلى نجم الفكر والرأي - فالمقصود هنا أن لإبراهيم عليه السلام في هذا الموضع نظرة واحدة أراد منها معنى محدداً يفهمه قومه ليقبلوا تخلفه عنهم حيث يبقى في

---

(١٢٦) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي (ص٥٨٨-٥٨٩)، الوجوه والنظائر للدامغاني (٢/٢٥٠-٢٥١)، وجوه القرآن الكريم للحيري (ص٣٢٤-٣٢٥)، الوجوه والنظائر للعسكري (ص٤٨٠-٤٨١).

(١٢٧) موسوعة الوجوه والنظائر في القرآن الكريم إعداد د أحمد بن محمد البريدي ود فهد بن إبراهيم الضالع (١٢٨٢/٣).

(١٢٨) الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٧٥).

(١٢٩) يأتي هذا المطلب من غير تفصيل من جهة اللغة ثم المفسرين لمعنى كلمة مقترنة بالبصر أو العين وذلك لأن فكرة البحث هاهنا ليست مأخوذاة من كلمة ذات دلالة معينة في سياق العين وظائفها وإنما أخذ من سياق الآية في توصيف النظرة من جهة التعبير عن النظر بنظرة واحدة وأنه ليس نظراً عابراً وإنما هي نظرة مقصودة ذات معنى مقصود دل السياق على المراد منها بوضوح.

أصنامهم ليكسرها؛ قال ابن كثير: " إنما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه ذلك، ليقيم في البلد إذا ذهبوا إلى عيدهم، فإنه كان قد أزف خروجهم إلى عيد لهم، فأحب أن يختلي بآلهتهم ليكسرها، فقال لهم كلاماً هو حق في نفس الأمر، فهموا منه أنه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه "(١٣٠).

وقال الشوكاني: "﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ قَالَ الْوَاحِدِيُّ: قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: كَانُوا يَتَعَاطَوْنَ عِلْمَ النُّجُومِ فَعَامَلَهُمْ بِذَلِكَ لِئَلَّا يُنْكِرُوا عَلَيْهِ وَذَلِكَ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُكَايِدَهُمْ فِي أَصْنَامِهِمْ لِتَلْزَمَهُمُ الْحُجَّةُ فِي أَنَّهَا غَيْرُ مَعْبُودَةٍ، وَكَانَ لَهُمْ مِنَ الْغَدِ يَوْمُ عِيدٍ يَخْرُجُونَ إِلَيْهِ، وَأَرَادَ أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنْهُمْ فَاعْتَلَّ بِالسَّقَمِ: وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَلَّفُوهُ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهُمْ إِلَى عِيدِهِمْ فَنَظَرَ إِلَى النُّجُومِ يُرِيهِمْ أَنَّهُ مستدلّ بها عَلَى حَالِهِ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا قَالَ إِنِّي سَقِيمٌ أَيْ سَأَسْقُمُ، وَقَالَ الْحَسَنُ: إِنَّهُمْ لَمَّا كَلَّفُوهُ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهُمْ تَفَكَّرَ فِيمَا يَعْمَلُ، فَالْمَعْنَى عَلَى هَذَا أَنَّهُ نَظَرَ فِيمَا نَجَمَ لَهُ مِنَ الرَّأْيِ، أَيْ: فِيمَا طَلَعَ لَهُ مِنْهُ، فَعَلِمَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَسْقَمُ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ. قَالَ الْخَلِيلُ وَالْمُبَرِّدُ: يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا فَكَّرَ فِي الشَّيْءِ يُدَبِّرُهُ: نَظَرَ فِي النُّجُومِ. وَقِيلَ: كَانَتِ السَّاعَةُ الَّتِي دَعَوْهُ إِلَى الْخُرُوجِ مَعَهُمْ فِيهَا سَاعَةً تَعْتَادُهُ فِيهَا الْحُمَّى "(١٣١).

نتيجة الدراسة

مجيء النظر في كتاب الله دالاً على نظرة واحدة مقصود بها حالة محددة من المعنى - غير مجرد النظر - إلى إفادة حالة صحية تعتري نبي الله إبراهيم على سبيل المكايدة لقومه ليبقى وحده في أصنامهم.

---

(١٣٠) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٤).

(١٣١) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٦٠)وانظر: التفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٥٢٨).

المطلب الثاني: نظر المنافقين بعضهم بعضاً حين ينصرفون عن آيات الله[١٣٢]

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ١٢٧ ﴾ [التوبة].

وتعددت تعبيرات المفسرين في تفسير نظرة المنافقين حين تنزل القرآن بأي طريقة ينظر بعضهم إلى بعض؛ فذكر البغوي أنه بالإشارة ﴿نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ﴾ يُرِيدُونَ الْهَرَبَ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِشَارَةً، ﴿هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ﴾ أَيْ: أَحَدٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ قُمْتُمْ، فَإِنْ لَمْ يَرَهُمْ أَحَدٌ خَرَجُوا مِنَ الْمَسْجِدِ، وَإِنْ عَلِمُوا أَنَّ أَحَدًا يَرَاهُمْ أَقَامُوا وَثَبَتُوا"[١٣٣]، وذكر الزمخشري وابن جزي أنه بالغمز: "نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ تغامزوا بالعيون إنكاراً للوحي"[١٣٤]. وفسره ابن عطية أنه نظر تقرير: " نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ على جهة التقريب، يفهم من تلك النظرة التقرير: هل معكم من ينقل عنكم؟ هل يراكم من أحد حين تدبرون أموركم؟ "[١٣٥]. وذكر القرطبي أنه نظر رعب على جهة التقرير: " وَالْمُرَادُ الْمُنَافِقُونَ، أَيْ إِذَا حَضَرُوا الرَّسُولَ وَهُوَ يَتْلُو قُرْآنًا أُنْزِلَ فِيهِ فَضِيحَتُهُمْ أَوْ فَضِيحَةُ أَحَدٍ مِنْهُمْ جَعَلَ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ نَظَرَ الرُّعْبِ عَلَى جِهَةِ التَّقْرِيرِ"[١٣٦]. وقال ابن كثير أنه الالتفات: "قَوْلُهُ: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ

(١٣٢) وهذا المطلب كسابقه من جهة اقتناص هدف البحث من السياق وليس من كلمة فيه.
(١٣٣) تفسير البغوي (٤/ ١١٥).
(١٣٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٣٢٤)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٣٥١).
(١٣٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٩٩).
(١٣٦) تفسير القرطبي (٨/ ٢٩٩).

قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴿١٢٧﴾ ﴾ [التوبة]، هَذَا أَيْضًا إِخْبَارٌ عَنِ الْمُنَافِقِينَ أَنَّهُمْ إِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ أَيْ: تَلَفَّتُوا"[١٣٧].

والمقصود من هذا كله أن للمنافقين في هذا الموضع نظرة أو حركة للعين يفهمها بعضهم عن بعض مؤداها التوجس والتحاذر أن يطلع عليهم أحد وهم ينصرفون عن آيات الله.

نتيجة الدراسة:

مجيء النظر في كتاب الله من خلال تكرار وسياق الآية، التي هو فيها بمعنى يخرج به عن النظر المجرد إلى نظر التآمر والاتفاق والانصراف عن آيات الله.

المطلب الثالث: نظر المغشي عليه من الموت

معنى المغشي عليه في اللغة:

والمغشي عليه من الموت نظره يكون شاخصاً ثابتاً لا يطرف وهو مع هذا حديد قلق مضطرب لما يراه من أهوال؛ قال ابن فارس: "(غَشَى) الْغَيْنُ وَالشِّينُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَغْطِيَةِ شَيْءٍ بِشَيْءٍ"[١٣٨]، وقال الراغب: "غَشِيَهُ غِشَاوَةً وغِشَاءً: أتاه إتيان ما قد غَشِيَهُ، أي: ستره. والْغِشَاوَةُ: ما يغطّى به الشيء، قال: ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾ [الجاثية: ٢٣]، ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ﴾ [البقرة: ٧]، يقال: غَشِيَهُ وتَغَشَّاهُ، وغَشَّيْتُهُ كذا.. وقوله: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ ﴾ [الغاشية: ١]، كناية عن القيامة، وجمعها: غَوَاشٍ، وغُشِيَ على فلان: إذا نابه ما غَشِيَ فهمه. قال تعالى: كَالَّذِي يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ[١٣٩].

---

(١٣٧) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٤٠).

(١٣٨) مقاييس اللغة (٤/ ٤٢٥).

(١٣٩) المفردات في غريب القرآن (ص: ٦٠٧).

والتغطية متصورة لمن نزل فيه النزع؛ لأنه تغشاه السكرات وتغشاه قيامته، قال ابن قتيبة: "يريد أنهم يشخصون نحوك بأبصارهم، وينظرون نظرًا شديدًا بتحديق، وتحديد، كما ينظر الشّاخص ببصره عند الموت من شدّة العداوة"(١٤٠).

معنى نظر المغشي عليه من الموت في كتاب الله.

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُۙ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٠﴾ محمد:

قال ابن جرير: "(يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ) يا محمد، (نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ)، خوفاً أن تغزيهم وتأمرهم بالجهاد مع المسلمين، فهم خوفاً من ذلك وتجبناً عن لقاء العدوّ ينظرون إليك نظر المغشيّ عليه الذي قد صرع. وإنما عنى بقوله (مِنَ الْمَوْتِ) من خوف الموت، وكان هذا فعل أهل النفاق"(١٤١).

وقال البغوي: "رأيت الذين في قلوبهم مرض، يعني المنافقين، ينظرون إليك، شزراً بتحديق شديد كراهية منهم للجهاد وجبنا عن لقاء العدو، نظر المغشي عليه من الموت، كما ينظر الشاخص بصره عند الموت، فأولى لهم "(١٤٢).

والمقصود هاهنا أن المنافقين وهم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يتنزل عليه آيات فيها ذكر القتال فإنه يظهر على نظراتهم من حيث شرودها وشخوصها وحدتها باتجاه النبي صلى الله عليه وسلم ما يشبه بهذا حال من نزلت به سكرات الموت من حيث شخوص عينيه واضطراب بصره وشروده للأعلى.

---

(١٤٠) تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٣٨).
(١٤١) جامع البيان (٢٢/ ١٧٥).
(١٤٢) تفسير البغوي (٤/ ٢١٦).

نتيجة الدراسة:

حيث جاء في كلام الله تعالى هنا ما يدل على نوع من النظرات، له تعبير معين ومعنى مراد من كلام الله تعالى، وهو نظرة المنافقين وأشباههم، ممن يأنفون من أوامر الله التي لا تتوافق مع شهواتهم، فيبدو على عيونهم ما يميزها من الأنفة والشرود والكره والشخوص.

المبحث الرابع: الدلالات المتعلقة بلفظ الطرف

وفيه تمهيد ومطلبان:

التمهيد: وفيه معنى الطرف: قال ابن فارس: "الطَّاءُ وَالرَّاءُ وَالْفَاءُ أَصْلَانِ: فَالْأَوَّلُ يَدُلُّ عَلَى حَدِ الشَّيْءِ وَحَرْفِهِ، وَالثَّانِي يَدُلُّ عَلَى حَرَكَةٍ فِي بَعْضِ الْأَعْضَاءِ"(١٤٣).

وقال الزبيدي:" ط ر ف الطَّرْفُ: العَيْنُ، لَا يُجْمَعُ لأَنَّه فِي الأَصلِ مَصْدَرٌ فيكونُ واحِداً، ويكونُ الأَصلِ مَصْدَرٌ فيكونُ واحِداً، ويكونُ جمَاعَة، قَالَ الله تَعَالَى: لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُم"(١٤٤).

وبيَّن العلاقة بين النظر والطرف الراغب الأصفهاني حيث قال:" والطَّرْفُ: تحريك الجفن، وعبّر به عن النّظر إذ كان تحريك الجفن لازمه النّظر"(١٤٥).

وذكر أصحاب كتب الوجوه والنظائر أن الطرف في القرآن جاء على ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: أوقات النهار(١٤٦)، قال تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ ﴾ [طه: ١٣٠]، وقال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ [هود: ١١٤].

---

(١٤٣) مقاييس اللغة (طرف،٤٤٧/٣).

(١٤٤) تاج العروس (طرف، ٦٩/٢٤).

(١٤٥) المفردات في غريب القرآن (ص: ٥١٧).

(١٤٦) وعبّر عنه الحيري بـ: الطَّرَف بعينه.

الوجه الثاني: الطرْف بإسكان الراء العين[١٤٧]، قال تعالى: ﴿ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾[الشورى: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾ [الرحمن: ٥٦].

الوجه الثالث: الطائفة[١٤٨]، قال تعالى: ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ [آل عمران: ١٢٧][١٤٩][١٥٠].

المطلب الأول: قاصـــرات الطـــرف

معنى القاصرات في اللغة.

قال ابن فارس: "(قَصَرَ) الْقَافُ وَالصَّادُ وَالرَّاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى أَلَّا يَبْلُغَ الشَّيْءُ مَدَاهُ وَنِهَايَتَهُ، وَالْآخَرُ عَلَى الْحَبْسِ... وقصرته إِذَا حَبَسْتُهُ،... وَامْرَأَةٌ قَاصِرَةُ الطَّرْفِ: لَا تَمُدُّهُ إِلَى غَيْرِ بَعْلِهَا، كَأَنَّهَا تَحْبِسُ طَرْفَهَا حَبْسًا. قال تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾ [الرحمن: ٥٦]. وَمِنَ الْبَابِ: قُصَارَاكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا وَقَصْرُكَ، كَأَنَّهُ يُرَادُ مَا اقْتَصَرْتَ عَلَيْهِ وَحَبَسْتَ نَفْسَكَ عَلَيْهِ "[١٥١]. وقال الراغب: "وامرأة قاصِرَةُ الطَّرْفِ: لا تمدّ طرفها إلى ما لا يجوز. قال تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾ [الرحمن: ٥٦]"[١٥٢].

فكلام أهل اللغة متفق على أن القصر المقترن بالنظر معناه حبسه ومنعه.

---

(١٤٧) هذا الوجه انفرد به الدامغاني، وهو وإن صح لغة، فإنه لا يصح جعله وجهاً في هذا الباب، لأن الطرف بالتسكين هو العين، أما الطرف بالتحريك فهو الجانب.

(١٤٨) وعبّر عنه الحيري بـ: الجماعة.

(١٤٩) الوجوه والنظائر للدامغاني (٤٩/٢)، وجوه القرآن الكريم للحيري (ص٢١٨).

(١٥٠) موسوعة الوجوه والنظائر في القرآن الكريم إعداد د أحمد بن محمد البريدي ود فهد بن إبراهيم الضالع (٨٢٦/٢).

(١٥١) مقاييس اللغة (قصر،٩٦/٥).

(١٥٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٦٧٣).

وأما الطرف فهو النظر المقترن بحركة الجفن ؛ قال الراغب: " والطَّرْفُ: تحريك الجفن، وعبّر به عن النّظر إذ كان تحريك الجفن لازمه النّظر"(١٥٣).

آيات قصر الطرف في القرآن:

وهي كالتالي: قال تعالى: ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الصافات].

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ [ص].

وقال تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الرحمن].

وقد توافقت أقوال السلف وأهل الغريب والمعاني والتفسير واللغة على أن المعنى في جميع هذه الآيات الثلاث هو: حبسهن النظر عن غير أزواجهن(١٥٤).

بل إن ابن القيم نقل اتفاقهم على هذا، قال تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الرحمن].

وصفهن سبحانه بقصر في ثلاثة مواضع. أحدها: هذا.

والثاني: قوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الصافات].

والثالث: قوله تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ [ص].

والمفسرون كلهم على أن المعنى قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم"(١٥٥).

---

(١٥٣) المفردات في غريب القرآن (ص: ٥١٧).

(١٥٤) مجاز القرآن (٢/٢٤٥)، غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٣١٩)، غريب القرآن للسجستاني (ص: ٣٧٨)، معاني القرآن للنحاس (٦/ ٢٧)، ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن (ص: ٤٤١)، جامع البيان (٢١/ ٤١) المفردات في غريب القرآن (ص٦٧٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٣٠٤)، الهداية الى بلوغ النهاية (٩/٦١٠٢)، التفسير البسيط (١٩/٤٩)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٩/ ٣٧٦)، التبيان في تفسير غريب القرآن (ص٢٧٦)، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص:٢٢١)، تفسير القرطبي (١٥/ ٨٠)، البحر المحيط في التفسير (٩/١٠١)، مقاييس اللغة (٥/ ٩٦)، تاج العروس (١٣/ ٤٢٢).

(١٥٥) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص: ٢٢١).

نتيجة الدراسة:

مجيء لفظ البصر - المعبر عنه هنا بـــ(الطرف) - لغير مجرد النظر والإبصار إلى حبسه على الأزواج المنعمين في الجنة، وأن هذا من صفات الحور العين، وحسن أدبهن مع أزواجهن.

المطلب الثاني: ارتـــــداد الطـــــرف(١٥٦)

آيات عدم ارتداد الطرف في كتاب الله:

ورد ارتداد الطرف في كلام الله تعالى في موضعين هما: قوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل].

وظاهر من سياق الآيتين عدم التقارب في استعمال الارتداد للطرف؛ لأنه في آية سورة إبراهيم حالة تعتري البصر بكيفية معينة، فينظر بصورة مشدودة لشدة الخوف والذهول من أحداث القيامة.

وأما في موضع سورة النمل فالمقصود حركة الجفن، وجعلها تقريبًا كوحدة لقياس السرعة كما يتضح من سياق الآية.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم].

---

(١٥٦) تقدم معنى الطرف في اللغة بما يغني عن تكراره هنا.

قال الطبري: "وقوله: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ يقول: لا ترجع إليهم لشدّة النظر أبصارهم.

كما حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ قال: شاخصة أبصارهم"(١٥٧). وقال ابن عطية: " وقوله: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ أي: لا يطرفون من الحذر والجزع وشدة الحال"(١٥٨). اوقال ابن الجوزي:" قوله تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ أي: لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة النظر، فهي شاخصة.

قال ابن قتيبة: والمعنى: أن نظرهم إلى شيء واحد، وقال الحسن: وجوه الناس يوم القيامة إلى السماء، لا ينظر أحد إلى أحد(١٥٩). وقال ابن كثير: "﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ أَيْ: بل أبصارهم طائرة شاخصة، يديمون النظر لا يطرفون لحظة لكثرة ما هم فيه من الهول والفكرة والمخافة لما يحل بهم، عياذًا بالله العظيم من ذلك؛ ولهذا قال: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ أي: وقلوبهم خاوية خالية ليس فيها شيء؛ لكثرة الفزع والوجل والخوف؛ ولهذا قال قتادة وجماعة: إن أمكنة أفئدتهم خالية؛ لأن القلوب لدى الحناجر قد خرجت من أماكنها من شدة الخوف"(١٦٠).

فإن استشكل هذا الباب مع ما في باب آخر من الخشوع والانكسار للأبصار في هذا الموقف فقد وقف أبو عبد الله القرطبي عليه وقوف المتأمل فقال: "فإن قيل: فقد

---

(١٥٧) جامع البيان (١٧/ ٣٢).

(١٥٨) لمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٣٤٤).

(١٥٩) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٥١٧).

(١٦٠) تفسير ابن كثير (٤/ ٥١٥).

قال الله تعالى في غير هذه الآية ﴿ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ ﴾ وقال: ﴿ خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ ﴾ فكيف يكون الرافع رأسه الناظر نظراً طويلاً حتى إن طرفه لا يرتد إليه خاشع البصر؟.

فالجواب أنهم يخرجون حال المضي إلى الموقف خاشعة أبصارهم، وفي هذه الحال وصفهم الله تعالى بخشوع الأبصار، وإذا توافوا وضمهم الموقف وطال القيام عليهم فإنهم يصيرون من الحيرة كأنهم لا قلوب لهم، ويرفعون رؤوسهم فينظرون النظر الطويل، ولا يرتد إليهم طرفهم، كأنهم قد نسوا الغمض أو جلهوه فهو تعسير عليهم، ومنها: ﴿ هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ٣٥ وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ٣٦ ﴾ [المرسلات]"(١٦١).

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٞ ٤٠ ﴾ [النمل].

اختلف المفسرون في تفسير قوله تعالى: " قبل أن يرتد إليك طرفك " على أقوال: " أربعة أحدها: قبل أن يأتيَك أقصى ما تنظر إِليه، قاله سعيد بن جبير وقتادة. والثاني: قبل أن ينتهي طرفك إِذا مددته إِلى مداه، قاله ابن عباس ، ومجاهد ووهب. والثالث: قبل أن يرتد طرفك حسيراً إِذا أدمتَ النظر، قاله مجاهد. والرابع: بمقدار ما تفتح عينك ثم تطرف، قاله الزّجّاج"(١٦٢).

قال الطبري في ترجيحه للقول الثاني: "وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: قبل أن يرجع إليك طرفك من أقصى أثره، وذلك أن معنى قوله (يَرْتَدَّ إِلَيْكَ) يرجع إليك البصر، إذا فتحت العين غير راجع، بل إنما يمتدّ ماضيا إلى أن يتناهى ما

---

(١٦١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: ٥٧٦)..

(١٦٢) جامع البيان (١٩/ ٤٦٧)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٢١)،زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٣٦٣)، النكت والعيون (٤/ ٢١٣).

امتدّ نوره. فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله إنما أخبرنا عن قائل ذلك (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ) لم يكن لنا أن نقول: أنا آتيك به قبل أن يرتدّ راجعا (إِلَيْكَ طَرْفُكَ) من عند منتهاه"(١٦٣).

والمقصود من بحثنا هنا كما قال الطاهر ابن عاشور: "وَالظَّاهِرُ أَنَّ قَوْلَهُ: قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ، وَقَوْلَهُ: قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ مَثَلَانِ فِي السُّرْعَةِ وَالْأَسْرَعِيَّةِ"(١٦٤).

نتيجة الدراسة:

إن الطرف - الذي هو البصر المرتبط بجارحة العين - ورد في كتاب الله مقترناً بالارتداد، فأفاد معنين خارجين عن النظر المجرد:

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم].

حيث جاء الطرف بمعنى البصر في حالة الهلع والشخوص والذهول، فلا يرجع إلى صاحبه لما يرى من أهوال وهي حالة تعلق بالعين في هذا الموقف، من مواقف القيامة.

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل].

حيث جاء الطرف الذي هو حركة الجفن وما يحصل بعدها مباشرة من نور العين لمداها لقياس السريع والأسرع.

---

(١٦٣) جامع البيان (١٩/ ٤٦٨).

(١٦٤) التحرير والتنوير (١٩/ ٢٧١).

الخاتمـة

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد منّ الله علي بالانتقال بين آياته الكريمة، وكيف تكلم عليها السابقون الأولون من الصحابة والتابعين لهم بإحسان على مواضع هذا البحث، والتفنن في تقريب معاني كلام الله سبحانه وتعالى.

ومن خلال هذه الدراسة يمكنني الإشارة إلى بعض النتائج والتوصيات ومنها:

أولاً: أن جارحة العين تميزت من بين جوارح الإنسان بكثير من العناية القرآنية، حيث تعددت ألفاظها ووظائفها وما يتشعب عن هذه الألفاظ من اشتقاقات كثيرة، مما يدل على أهميتها وشديد العناية بها وأثرها الدائم الدائب في حياة ابن آدم.

ثانياً: جاءت المواضع المتعلقة بالبصر ثمانية، وجاءت المواضع المتعلقة بالعين سبعة وجاءت المواضع المتعلقة بالنظر ثلاثة، وجاءت المتعلقة في الطرف موضعين؛ فتمت المواضع عشرين موضعاً كلها خرجت عن النظر المجرد إلى معنى زائدٍ مراد.

ثالثاً: يصح القول إن عبارة ابن عاشور ثم الواحدي في البسيط مع عبارة الراغب وأهل اللغة تتجلى فيها المعاني الواردة في هذا البحث ويظهر أنها تشتمل على الكثير مما يناسبه من جنسه.

رابعاً: يختلف باحث عن آخر في تقدير ما يدخل حصراً في هذه المواضع وما يخرج منها تبعاً لاحتمال بعض المواضع لمجرد النظر وغيره ولهذا أحسب أنني اقتصرت على ما لا يكاد يُختلف عليه في ظل المواضع الكثيرة الواردة في كتاب الله تعالى وهي متعلقة بالعين ووظائفها.

خامساً: أحسب أنني اجتهدت في حصر الواضح، ولمتأمل غيري أن ينظر من جديد فمع كثرة المواضع سيخرج بما هو أطول من هذا.

سادساً: يوصي الباحث بالنظر إلى الجوارح الأخرى فللباحث أن يجمع جميع الجوارح في كتاب الله من حيث جاءت بغير ما فطرت لأجله من خلال رسالة ماجستير أو دكتوراه.

والحمد لله أولا وآخراً وباطناً وظاهراً وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثبت المصادر والمراجع

[١] الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، حققه وخرج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

[٢] أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

[٣] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

[٤] تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

[٥] تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المحقق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

[٦] التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م.

[٧] التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ.

[٨] التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦هـ.

[٩] تفسير الإمام ابن عرفة، محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله، المحقق: د.حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية – تونس، الطبعة: الأولى، ١٩٨٦م.

[١٠] تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الرازي ابن أبي حاتم، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩هـ.

[١١] تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

[١٢] تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

[١٣] تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

[١٤] تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

[١٥] التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، عالم الكتب – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ -١٩٩٠م.

[١٦] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

[١٧] جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

[١٨] جامع المسائل لابن تيمية، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد عزير شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

[١٩] الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد ابن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

[٢٠] الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

[٢١] جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، المحقق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

[٢٢] حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية، مطبعة المدني، القاهرة.

[٢٣] الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله، المحقق: د.عبد العال سالم مكرم، دار الشروق – بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠١هـ.

[٢٤] الرد على الجهمية، أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني، المحقق: بدر بن عبد الله البدر، دار ابن الأثير – الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

[٢٥] روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء، دار الفكر – بيروت.

[٢٦] زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.

[٢٧] السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي، المحقق: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ.

[٢٨] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

[٢٩] عمدة الحفاظ، أحمد بن يوسف بن عبدالدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت.

[٣٠] غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت.

[٣١] غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، محمد بن عُزير السجستاني، أبو بكر العُزيري، المحقق: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.

[٣٢] غريب القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المحقق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ.

[٣٣] فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ.

[٣٤] الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

[٣٥] كتاب الأفعال، علي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم، المعروف بابن القَطَّاع الصقلي، عالم الكتب، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

[٣٦] كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

[٣٧] كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، المحقق: د.مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

[٣٨] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ.

[٣٩] مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، المحقق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى – القاهرة، الطبعة: ١٣٨١هـ.

[٤٠] المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦م.

[٤١] مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

[٤٢] مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٩٨٨م -٢٠٠٩م.

[٤٣] المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

[٤٤] مشكل إعراب القرآن، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ.

[٤٥] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، أبو العباس، المكتبة العلمية – بيروت.

[٤٦] معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

[٤٧] معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، عالم الكتب – بيروت.

[٤٨] معاني القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد، المحقق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

[٤٩] معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر.

[٥٠] معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

[٥١] معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن الكريم، حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣هـ - ٢٠٠٨م.

[٥٢] المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢هـ.

[٥٣] موسوعة الوجوه والنظائر في القرآن الكريم إعداد ود. أحمد بن محمد البريدي ود. فهد بن إبراهيم الضالع.

[٥٤] نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن محمد الجوزي، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

[٥٥] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

[٥٦] الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

[٥٧] وجوه القرآن الكريم، أبو عبدالرحمن إسماعيل بن أحمد الضرير النيسابوري الحيري، تحقيق: فضل الرحمن عبدالعليم الأفغاني، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

[٥٨] الوجوه والنظائر لألفاظ الكتاب العزيز، أبو عبدالله الحسين بن محمد الدامغاني، تحقيق: عربي عبدالحميد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م.

[٥٩] الوجوه والنظائر لأبي الهلال العسكري، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.

[٦٠] الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبدالغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.

[٦١] وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

[٦٢] ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، أبو عمر الزاهد المطرز الباوَرْدي، المعروف بغلام ثعلب، المحقق: حققه وقدم له محمد بن يعقوب التركستاني، مكتبة العلوم والحكم - السعودية/ المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

The Excrescence Semantics of Ayn and its Functions in the Holy Koran

Dr. Fahd bin Ibrahim Al-Dali
Associate Professor in Faculty of Islamic Law (Shari'ah) and Islamic Studies Department of Koran and its Sciences, Al-Qassim University.

Abstract. Praise be to Allah, Lord of the Worlds, prayer and peace upon our Prophet Muhammad and his family and companions, and after,

One of Lord's uncountable and cannot be known blesses is his grace of easing to handle this topic (The excrescence semantics of Ayn and its functions in the Holy Koran). In this topic I handled both pronunciations (Ayn "Eye, and the wink) and the two functions (eyesight and vision) as mentioned in the Book of Almighty God providing a meaning that take in consideration off the naked eyesight. It made also for every pronunciation of these four pronunciations a topic with other branches of requirements mentioning a topic in every requirement which I assigned after reading in all its subjects and and contexts in the Book of Almighty God, thus, the requirements of eyesight became eight, of the eye "Ayn" were seven, of the vision were three, and, then, the requirements of the wink were two requirements. My method of presenting the subject of controversy is to pave the way for each subject with the pronunciation or the function facing me from the language destination. Then, I explain its usages in the language of the Holy Koran otherwise through the vocabularies of Koran language at al-Ragheb al-Asfahany or the books of homonymy and polysemy, thereafter, I start with a requirement after another beginning with a definition for the excrescence pronunciation which relates to the Eye such as betrayal of the eye, as in the verse: "(Allah) knows of (the tricks) that deceive with the eyes." Furthermore, I explain the simplifiers' sayings with the structure "the tricks that deceived with the eye" trying actively to demonstrate the purpose of the research such as adding the tricks to the eye and the way of expressing the tricks with the predecessors and others; however, I conclude with a result includes what I mentioned generally in every point.

This thesis is simply an attempt to clarify the might of the Holy Koran, its language and miracles, in addition to demonstrating the importance of the eye "Ayn", its function and semantics in the Holy Koran; therefore we know as presented in the verses that the eye makes aberration and tricks, and the vision slithers, and so on...

I ask Allah for fidelity in say and work, and to make it blessed and accepted. Praise Be To Allah.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٠)، العدد (٢)، ص ص ٤٩٧-٥٥٦، (ربيع ثاني ١٤٣٨هـ/ديسمبر ٢٠١٦م)

من تعقبات ابن عاشور على الزمخشري في تفسير سورة البقرة القسم الثالث "دراسة وتحليل ونقد"

د. جمال محمود أبو حسان
أستاذ مشارك في التفسير وعلوم القرآن- كلية الدعوة وأصول الدين
جامعة العلوم الإسلامية العالمية- الأردن

ملخص البحث. قام المفسر محمد الطاهر ابن عاشور بكتابة تفسير ضخم تعقب فيه آراء بعض المفسرين الذين سبقوه، وكان ممن تعقبه الزمخشري في التفسير.

قام الباحث في هذا البحث بتتبع اعتراضات وتعقبات ابن عاشور للزمخشري في سورة البقرة وجمعها وجعلها محلا لبحثه، حيث قام بدراسة هذه التعقبات، وتتبعها في مظانها من كتب التراث، ليقف حكماً بين الزمخشري وابن عاشور، ليرى بعد البحث أي الرأيين أقرب لتفسير الآية، وقد سلك الباحث في بحثه المنهج العلمي دون أي تجريح أو شدة وكانت غاية الباحث هي معالجة الأقوال دون الالفات إلى شخصيات المفسرين رحمهم الله جميعاً.

وقد خلص الباحث في بحثه إلى أن بعض هذه التعقبات كان ابن عاشور مصيباً فيها وبعضها الآخر كان الصواب فيها مع الزمخشري.